JASIM

AL-THAWRAH AL-'ARABIYAH

Princeton University Library
32101 074452689

2271
50547
J31
389

2271.50547.J31.389
Jasim
al-Thawrah al-'Arabiyah

DATE	ISSUED TO
JAN 21 '70	BINDERY

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

عزيز السيد جاسم

الثورة العربية
ومهمات العمل التقدمي

Jāsim, ʿAzīz al-Sayyid

al-Thawrah al-ʿArabīyah

الثورة العربية

ومهمات العمل التقدمي

الطبعة الاولى

١٩٦٩.

منشورات دار الاديب العراقي - بغداد

2271
.50547
J31
.389

كلمة

لابد

منها

الطبعة الاولى نيسان ١٩٦٩

رسالـــة « دار الاديب العراقي »

تعرض الكتاب العراقى لكثير من الفشل فى أغلب الاحايين ، وليس فى هذا القول مجانبة للواقع .. فالكاتب العراقى يدفع خسارة طبعه بجهـوده دوما ، بدل أن تثمر هذه الجهـــودوتتيح له استمرارية ايصال كلمتـه الى جمهور أوسـع من القـراء ..والكتاب الذى نسميه كتابا هو ذاك الذى سطرت حروفه وكلماته اقـلام تمتلك قدرات كتابية جيدة وعمقـا فكريا واصالة ثقافية .

لقـــد حاقت بالكتاب العـراقى ازمة تظافرت فى خلقهـــا مشكلات توزيعه وطبعه ونشره .. وظهـــرت (دار الاديب العراقى) لتقدم مجهودا متواضعا فى تخفيف شـدة ازمـــة الكتاب العراقى ، وهى تستهل بداية حياتهـــا بكتاب « الثـورة العربيـة ومهمات الفكر التقدمى » بقلم الكاتب العراقى المعروف عزيز السيد جاسم متمنية ان تحقق رسالتها فى خدمـة الفكر والثقافة .

(دار الاديب العراقى)

طبع بمطبعـة دار السلام ـ بغداد

معاناة الحركة الثورية العربية ...
والطريق الى الحل الثوري

ان الجماهير العربية التي ناضلت من أجل توفير شروط حياتية لائقة بها تشخص تماما تقدمية أو رجعية أي نظام سياسى من خلال المردودات العملية التي يحققها النظام في عملية تفاعله الايجابي أو السلبي أو المعاكس مع الجماهير .

وهي - أي الجماهير - اذ تشخص نوعية أي نظام حكومي عربي انما تتبنى موقفا معينا ازاء النظام السائد وعلى ضوء التشخيصات الحقيقة . وبوازع من تربية الجماهير العربية سياسيا فأن هذه الجماهير اذ تقف موقف العداء الواضح للنظم الرجعية والعميلة فهي لا تبخل بتأييدها لكل النظم الوطنية والتقدمية على النحو الذي يكفل استمرار هذه النظم وتطورها لصالح الجماهير .

وفي الواقع ان بعض النظم التقدمية العربية قد عانت من عدة اشياء كانت سببا في خلق حالة من الجمود وعدم المضى الثوري في خط السير التقدمي ، ونظرا لان هذه الاشياء لا تزال - وستظل دائما - تمتلك مؤثراتها المعوقة والمعرقلة لحركة الثورة العربية ، فقد أضحى ضروريا تبيانها وفهمها بالشكل الذي يمنع الوقوع فيها ، ويضمن وجود التقاء حقيقي مخلص بين السلطة التقدمية والجماهير وعلى النطاق العربي كله لا على نطاق قطر محدد .

أولا - اختفاء دور العمال والفلاحين أو تقلصه :

ان أي تنظيم ثوري لا يكتسب ثوريته من خلال المنطلقات النظرية أو الشعارات التي يرفعها ، بل ان هذا التنظيم ولكيما يؤكد وجوده الثوري الحقيقي

ينبغي عليه أن يستوعب العنصر العمالي والفلاحي استيعابا تنظيميا متطـــورا • فالتنظيم الذي يتبنى قضية اشتراكية لا يستطيع أن يستمر في حركته التاريخيـة بدون أحتواء القوى الاجتماعية المرتبطة بالتاريخ الاشتراكي • ومن البديهي ان هذا الاحتواء لا يتم الا على مراحل وعبر نقلات زمنية تكفل انضاج هذا الاحتواء وتحويله من أبسط أنواع التمثيل والترابط الى تمثيل متوازن وفعال ، مما يطيح بالسلبيات التي تنزلق اليها بعض القوى التقدمية •

ان الحزب الثوري لا يمكن أن يتحـــدث عن الجماهير ككتلـــة كبيرة متجانسة ، بل هو معبر سياسي عن مصالح الطبقات المتعرضة للسحق والافقار ، وبهذا التعبير تبرز الهوية الاشتراكية له • والعمال والفلاحون كقوى اجتماعيـة كبيرة وذات قدرة على التغيير الثوري لا يمكن تضخيم دورها قولا في حين يتـــم عملا التغافل عن أهمية اشتراك نسبة كبيرة منها في التنظيمات السياسية الثورية •

وفي الواقع ان العديد من التنظيمات التقدمية العربية عانت من فقـــرها في تعبئة القوى الشغيلة ، وحتى اذا نجحت لحد ما في تلك التعبئـة فأن القيـــادة السياسية تتم بأدارة العقلية البورجوازية الصغيرة • وحجة ان السبب في ذلك هو عدم كفاءة العمال والفلاحين العرب للقيام بالتحرك السياسي ، هي حجة غير مبررة وخاطئة اساسا ، لان التنظيمات الثورية انما تحقق لنفسها هذه السمة من خلال عملها في الاوساط العمالية والفلاحية لخلق نواتات عمل جيدة مع صلات تتعمق باستمرار • ولذا ففشل أية حركة ثورية في توسيع وتنظيم العنصـر الكادح في بنائها الاجتماعي والسياسي ، انما مبعثه تخلف التنظيم وعدم قدرته على القيـادة والتحريك والاثارة وكسب الانصار، أما جماهير العمال والفلاحين فهي غير مذنبة في هذا المجال •

وعندما نتساءل عن ماهية الاسباب التي تستلزم كثرة العنصـــر الشغيلي في التنظيم الثوري ، نستطيع ادراج ذلك بما يلي :

أولا ـ لان القوى الاجتماعية التي تكون ذات مصلحة اساســـية في التغيير الثوري يجب أن تنظم نفسها لتقوم بهذا التغيير دون المخلص أو أي وسيط آخر •

ثانيا ـ ان غياب القوى الطبقية عن حيزها الذي يجب ان تشغله سياســـيا يؤدي بالحتم الى دخول قوى أخرى قد تسمح لتسللات وانحرافات عديدة تؤدي

في نهاية الامر الى ضرب أو تمزيق الحركة الثورية . لان المحتوى الاجتماعي لاي حركة هو لصيق بالمحتوى الايدلوجي وبدون ذلك قد يبقى المحتوى الايدلوجي شكليا ليتستر في الحقيقة على محتوى اجتماعي مغاير أو مضاد .

ثالثا ـ ان أية ايدلوجية تحريفية تستطيع الاستمرار والانتشار من القيادة حتى القاعدة في التنظيم فيما اذا كان البناء الحزبي غير محتو على تكوينه البشري العامل والواجب لحصول التوافق بين (المبدأ) والطبقات المتجاوبة معه .

أما اذا كان التنظيم قد استكمل بناءه الاجتماعي عن طريق تعبئة الكادحين فأن من المستحيل تنامي النزعة التحريفية ، بل ان استئصال شأفة التحريفيين لا يتم الا بواسطة مبضع الكادحين والمرتبط تاريخيا بقضيتهم العادلة .

رابعا ـ وهذا بدوره يكون مدعاة لتأصل الفكر الثوري وتعاظمه مما يحقق للحركة الثورية زخما هائلا بواسطته يتم تخطي كل العقبات التي تضعها القوى المعادية للثورة .

ومن هنا فأن هذه الاسباب هي التي تفسر الرابطة العضوية بين أية حقيقة ثورية وبين القوى الاجتماعية المسؤولة عن التبديل الاجتماعي . ولكن هذه تقتصر على مجال واحد هو مجال التنظيم السياسي ، على اعتبار أنه هو التنظيم المناط بأداء مهمات التبديل ، وتشكيلته البشرية سوف تعكس بلا شك الواقع العام للجماهير ومدى مساهمة وفعالية العمال والفلاحين .

ان القوى الثورية يجب ان تسعى لاطلاق حركة العمال والفلاحين الى أقصى مداها بحيث تتم الممارسة على كل الاصعدة مهيأة بحرية أمام العامل والفلاح وهذا الاطلاق للحرية يعني في التحليل الواقعي حماية النظام الثوري أو السلطة الثورية ، لظهور حماية اجتماعية منظمة تشغل مساحة القطر ـ اي قطر عربي ـ وتقطع كل الاذرعة المتآمرة التي تحاول الامتداد الى رأس السلطة التقدمية للاجهاز عليه . وحتى التنظيمات الثورية التي تمثل العمال والفلاحين انما تعتمد على تظاهرتهم الواعية لتوليد موجة ثورية متسعة لا تقف عند حد القناعات الاصلاحية .

اذن فأن الاستهانة بدور العمال والفلاحين ، اذا كانت خيانة سياسية لا عذر لها ، فأن الاعتراف الشكلي والسطحي بهذا الدور هو نفسه جزء من تلك الخيانة

المذكورة • فدخول العمال والفلاحين في الميدان السياسى والعملي هو حق من حقوقهم وهو الميزة التي تضع الفرق كل الفرق بين الحكم التقدمي والحكم الرجعي • فالحكم التقدمي عندما يضرب القوى الرجعية والمستغلة ـ بكسر الغين ـ لا يحافظ اطلاقا على تقدميته فيما اذا لجأ الى تنظيم موازنة تهريجية بين كافة القوى المختلفة • والطريق الوحيد لاثبات تقدميته والحفاظ عليها هو طريق احلال قوى اجتماعية ـ عمالية فلاحية ثورية ـ غير القوى التي كان الحكم الرجعي يستند عليها سابقا • وتكاد شعبية أي حكم مشكوكا فيها دون توفر مثل هذا العمل التحويلي الهام• فالمسلمة الاولى التي ينطلق منها الحكم الشعبي هي كون الحكم يمتزج بالشعب امتزاجا ثوريا رائدا يسد المجال امام احتمالات التطور الرأسمالي والبيروقراطى للحكم •

ثانيا ـ عبادة الفرد وتاليه الزعامات السياسية :

ان النظرة الاشتراكية أعطت المعنى الحقيقي الصادق للقائد الفرد • وبدلا من أن تسود النظرة القديمة التي ولدتها عهود الاستغلال والامتيازات الطبقية والتي تعتبر القائد هو صانع التاريخ ، فأن النظرة الاشتراكية أوجدت للفضية بعدها المناسب • ويعتبر (بليخانوف) خير من قدم شروحا واقعية حول (دور الفرد في التاريخ) وهو في ذلك ينطلق من مفهومات اشتراكية علمية أزاحت كل القشور والتغطيات الزائفة التي تلفع بها معنى البطولة الفردية •

وفي الميدان السياسى نستطيع أن ندرك أولا ان أي قائد بارع لا يتمكن بمفرده على القيام بصنع ثورة • وثانيا اذا قام هذا القائد بثورة ـ وهذا افتراض في درجة المحال ـ فلا معنى لثورة كهذه بدون الجماهير • وثالثا : اذا كان ـ وهذا افتراض للافتراض الاول وهو محال يرتكز على محال ـ هذا القائد صنع ثورة ذات معنى معين فأنه لا يستطيع ان يطبق الاشتراكية حسب مشيئته هو •

ولذلك فالشروط العامة التي يخضع لها القائد هي أنه يقود جماعة معينة أو شعبا ، وهو يمتلك بعد نظر أكثر من الاخرين ، ومن ثم فبقاؤه مرهون برضا أو عدم رضا الجماهير • وحيث ان نوعية القائد تعطيه خصائصه المميزة فأن القائد الثوري يمتاز بأنه يقف فى المقدمة في فهمه لحركة التأريخ والحركة الاجتماعية وتطورات الاشياء ، ومن ثم فهو يدرك شروط التحول الثوري ويعي

قدرة الامكانية الثورية والتهيؤ للتفجير الثوري . وبذلك فهو لا يتصادم مع حقيقة الاشياء التطورية لانه لا يستطيع التصرف وفق قوانين ذاتية يفرضها على الواقع الموضوعي قسرا . أنه يتجاوب مع حركة التجدد والتطور الثوري التي تهيمن على المسيرة التاريخية فيما اذا وجدت الاداة البشرية المفجرة والمحركة .

ولكن من هو البطل الحقيقي في التاريخ ؟ هل هو الفرد القائد ؟.. طبعا لا .

ان الشعب هو وحده القائد والموجه والمدرسة . وفي أي تحول أو حركة سياسية لابد أن يكون الشعب هو الممارس المهم لتلك العمليات التي يقال لها بمجموعها (العمل الثوري) . والشعب نفسه كخالق للحركات السياسية وكقوه تصنع الاحزاب والقيادات والزعماء ، هو الذي يمحض ثقته للزعيم الذي يقدر فيه أمانته على حقوق الجماهير وحرصه عليها .

وفي ذلك لا يمكن نفي أهمية القائد الاستثنائية ولكن هذه الاهمية لا تكون الا من خلال التزكية الشعبية ومن خلال القناعة النهائية عند القائد بأن الجماهير هي الغاية وهي الوسيلة وان أي عمل غير هادف للمصلحة الشعبية هو عمل عديم الفائدة .

وبالنسبة للمجتمع العربي كمجتمع في مقتبل الصعود الثوري لابد أن تبرز ظاهرة عبادة الفرد كامتداد للصنمية القديمة والعبادات الوثنية ، وكانعكاس العقلية العشائرية السائدة في اجلال رئيس القبيلة وتقديسه . ولكن الظاهرة هذه تأخذ شكلا سياسيا ، فتبرر نفسها تحت التسميات الثورية . وللظاهرة هنا معنيان : ايجابي وسلبي . ولكن المعنى السلبي هو الاكثر وجودا وتأثيرا ، على اعتبار أن الظاهرة تحمل في اصرارها اللاهوتي على الميزة المقدسة للقائد تضييعا متعمدا لدور الشعب وكونه مصدر كل السلطات وتحول الصيغة الى اتجاه معاكس ، فبدلا من أن يكون الشعار (القائد في سبيل الشعب) ، ينقلب الشعار الى (الشعب في خدمة القائد) . وفي النتيجة يتضرر الشعب ، وينتهي القائد نهاية مفجعة . وفي التاريخ آلاف الشواهد على ذلك . ولعل التجارب الفاشية التي امتدت ابان حقبة من الزمن في العالم هي خير نموذج للصيغة المعاكسة أي صيغة (الشعب في خدمة القائد) . ولا جدال حول فشل تلك التجارب مع كل قدراتها الجهنمية التي

تفتنت في ابداعها، لان التاريخ اعطى حكمه الحدي فيها.

أما المعنى الايجابي لهذه الظاهرة فهو محدود ومرسوم بحذر حتى لا يخرج عن الخط الدقيق الموجود للاحاطة به ، حيث ان التأكيد على دور ومكانة القائد أمر جائز بناء على ظروف معينة وحاجات تتطلب ذلك. على ان هذا التأكيد يتم بدون مبالغة ولفترة محدودة . أي أنه مرتبط بغاية معينة . ومتى ما انجزت هذه الغاية توقف العمل الدعائي حول دور الفرد القائد .

ومن فهمنا للمعنى الايجابي لظاهرة تقديس الزعامات الوطنية ـ وهو معنى محدود ومدروس ضمن عدم التورط الى ما هو أوسع ـ قد يعطينا تفسيرا وتبريرا للتقدير الجماهيري الخاص لقادتها ، واظهار ذلك بصورة عاطفية متحمسة ، على أن ذلك يجب أن يقود الى الغاء نفسه ، اي الى الغاء الظاهرة . ومتى ما رفعت الجماهير شعارا حماسيا في المبالغة في تقدير زعمائها فعلى القوى التقدمية أن تتدخل بحكم وجودها القيادي لتحد من انتشار ذلك وتوقفه في حده المناسب والضروري . ولعله من الواضح تماما ان ابراز (عبدالكريم قاسم) بعد ثورة ١٤ تموز المجيدة بالصورة الخطيرة السائدة حينذاك وعن طريق شعارات مهووسة مثل (ماكو زعيم الا كريم) أو (كل الشعب فدوه لابن قاسم) ... الخ .. قد أعطى الدليل على عدم توفر قيادة سياسية حكيمة تستطيع القوى التقدمية ممارستها لايقاف مد مثل هذه الشعارات . وظهرت في الجو علائم سوداء، حيث تحول المفهوم الثوري الذي تفجرت من أجله ثورة تموز الى مفهوم آخر عائب وخطير بعد أن أعلن ان الشعب يموت ليحيا قاسم. ومنطق كهذا ، غريب وضار ، يخجل منه أي تقدمي في العالم ، اذن كيف تسارع هذا المنطق الى البروز والتضخم خلال سنوات تموز الاولى ؟ ان الذهنية البورجوازية والبورجوازية الصغيرة حتما هي التي خلقت ذلك في معامل تفسيخها للمفاهيم الثورية .

ومن المؤكد ان أغلب الانتكاسات التي تتعرض أو تعرضت لها الانظمة الوطنية في دول العالم الثالث ـ وتجربة غانا شاهدة على ذلك ـ انما كانت بسبب من الولع المتزايد في ابراز اهمية الزعيم وما يتبع ذلك من اغفال للقيادة الجماعية وخرق لابسط المبادىء الديمقراطية .

ومن المعروف تماما ان بقاء الزعيم الفرد هو المتصرف الوحيد الذي تكون كلمته هي الاولى وبيده كل خيوط البلد يخلق بمرور الزمن وضعا توتاليتاريا (التوتاليتاريا هي الحكم المطلق) ويدخل في الجو السياسي الارتجال والتسرع والانفعالية وعدم التخطيط ، وهذا بدوره يكون نذيرا بأزمة لابد أن يمر بها البلد .

لذا فقد بات من مهمات أي حكم وطني تقدمي السعي الجاد لتمثيل ارادة الجماهير عن طريق المجالس الشعبية وبالقيادة الجماعية ينتقل الحكم انتقالة جيدة في مضمار الانجاز الثوري . أما اذا كانت المعادلة هي ان الحكم هو القائد والقائد هو الحكم ، فمعنى ذلك ان الحكم ينتهي بنهاية هذا القائد ، وهذا أمر شديد الخطورة ويجر على الجماهير نكبة ليست أقل خطورة .

ثالثا ـ قلة عدد الكوادر :

ان أهمية الكوادر تتركز في كونهم المسؤولين الذين تعتمد عليهم الحركة الثورية في توسيع رقعة نشاطها وتنظيم هذا النشاط بتناسق على ضوء متطلبات الحركة الثورية وطبيعة ظروفها . والكوادر ، لما يمتلكونه من أهمية حاسمة ، يمتازون بصفات جيدة تجعلهم بحق مختلفين عن سواهم . ولقد تحدث (ماوتسي تونغ) عن ضرورة تكوين (عشرات الالوف من الكوادر ، ومئات عديدة من خيرة القادة الجماهيريين . ويجب أن يكون هؤلاء الكوادر والقادة متملكين زمام الماركسية اللينينية ، ومتمتعين ببعد النظر السياسي والكفاءة في العمل ، وأن يكونوا مشبعين بروح التضحية ، قادرين على حل المشاكل بصورة مستقلة ، لا يتزعزعون أمام المصائب ، بل يعملون بكل اخلاص وولاء من أجل الامة والطبقة) ـ لتناضل في سبيل كسب عشرات الملايين من الجماهير الى الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان ـ (المؤلفات المختارة ، المجلد الاول) .

وهذا يعكس حقيقة معينة ، هذه الحقيقة هي ان أية حركة ثورية تحتاز على عدة كوادر هي حركة ذات عافية وصحة موفورة ، في حين ان قلة عدد الكوادر دليل على عدم تنامي تلك الحركة ومحدودية قدرتها على التطور ، وان الاسباب التى تدعو لوجود عدد جيد من الكوادر هي تشعب وتعدد المهام التي

تتمسك بمسؤوليتها الحركة الثورية ، وتوزيع الاعمال الثورية توزيعا صحيحا يزيد من قدرات الابداع ومزاولة النشاطات ، ووجود عدة منظمات بعيدة عن المركز مما يتطلب وجود الكادر الناجح المتمكن على التصرف بثورية واعية .

وفيما اذا كان الكادر الجيد موجودا فأن من المستحيل انزلاق الحركة الثورية وارتمائها تحت أشارة (الفردية) و (اللاتنظيم) ، كما وان مسيرة الحركة لا تكون فوضوية أو مترجرجة بل أنها تنتظم انتظاما فعالا لا تقطعه نوبات الركود والاغفاء ، ولا تؤثر عليه أو تعطله حوادث جزئية أو فقدان بعض الوجوه المسؤولة .

ولهذا فامتلاء الحركة بالكوادر هو شاهد على أمكانية الحركة وديمقراطيتها في تسيير أمورها وتوطيد علاقتها بالجماهير لان كل كادر يمتلك حتما علاقات واسعة مع قطاعات جماهيرية في محيط نشاطه .

وفيما اذا نظرنا الى بعض التنظيمات الثورية في العالم العربي نظرة موضوعية فاحصة لصدمنا بحقيقة لا يمكن اخفاؤها ، وهي حقيقة ضعف الكادر وقلة عدده . وهذا الضعف يؤدي الى عدة نتائج ضارة منها ان ضعف الكادر يخلق بالتالي نوعا من الاحتكار في العمل السياسي وبيروقراطية عالية تنبعث من بروز (الفردية) وروحها المؤذي . كما وان هذا يؤدي بدوره الى ظهور عناصر ضعيفه ترتقي الى المكان (الشاغر) والذي لا يزال فارغا من الكادر الذي يستحق أن يحتله . ومثل هذا الارتقاء الشاذ وتسلق العناصر العادية أو الرديئة في مراتب التنظيم بالقفز غير المشروع انما يعرض التنظيم الى عمليات انفجار داخلية قد يتهدم على أثرها قسم معين من اقسام التنظيم . هذا ومن الطبيعي ان جوا كهذا من العلاقات والصعود المريض لابد أن ينمي قيما فاسدة تشوه القيم الثورية وتمسخها الى الحد الذي تسوء فيه علاقات التنظيم ككل بالجماهير . وأي تنظيم تضطرب قيمه وتتمزق روابطه الجماهيرية انما يدفع نفسه تدريجيا الى الانتحار أو السقوط السياسي .

لذا فأمام الحركة الثورية العربية مهمة كبرى هي مهمة تنشئة الكادر الثوري وتربيته وتطويره كيفا وكما بالصورة التي تستطيع استيعاب الحاجات

العملية والمهمات الاساسية ، وتتلافى الفردية والانانية السياسية ، وتحقق أحسن الصلات وأوضحها بالجماهير .

رابعا ـ الاستلاب البورجوازى الصغير للنظرية الثورية :

ان طبيعة البورجوازية الصغيرة القلقة والمترددة ، (والمتأتيـــة أصلا من استعدادها التفاهمي مع البورجوازية من جهة وارتباطها مع الكادحين في ظـــل الخضوع للاستغلال البورجوازي من جهة أخرى) ، أوجدت فكرا تحريفيـــا استطاع أن يدمغ بطابعه الكثير من الاتجاهات الثورية أو الوطنية في العالم الثالث حيث يسود الانتاج الصغير والمتوسط . والفكـــر البورجوازي الصغـير يعطي بالمجان خدماته للرأسمالية وذلك في معرض مهمته الرافضة للايدلوجية الثورية ايديولوجية العمال والفلاحين والفصائل الثورية .

والواقع العربي قدم عينات عديدة تثبت مدى تلاعب الذهنية البورجوازية الصغيرة في المفاهيم الثورية وتفريغها من محتواها الاصيل . ولان الطبقة العاملة العربية لم تكن وصلت الى درجة النضج الكامل الذي يؤهلها لادارة حـــركة التحرير الاجتماعية الثورية ، وكذلك حلفاءها ، فأن البورجوازيـــة الصغـيرة احتلت كثيرا من المساحات في العمل السياسى . وهذا الاحتلال هو واقع معاش ومتخم بكل التناقضات والارتدادات التي أعاقت المسيرة الثورية للجماهير العربية وجزأت أهدافها بشكل غريب ومعاند .

ان الفكر البورجوازي الصغير ليس فكـــرا عاديا لا يستحـق التشخيص والتحليل والمكافحة . والدعوى بعدم صحة مثل تلك التقسيمات (بورجوازيـة صغيرة ، فكر بورجوازي صغير الخ ..) ترتبط أســاسا بالوعي المثـــالي أو الاصلاحي وترفض أي فهم لكائنية الواقع الحي والمتجسد اجتماعيا في الطبقـات والصراع الطبقي وما يجر وراءه من صراعات أخرى ..

وفي محاولة رصد الاستلاب الذي ينجزه الفكر البورجوازي الصغير ضد الوعي الثوري نجد أن البورجوازية الصغيرة في الواقع العربي فرزت اتجاهـين ضارين في المجال النظري والعملي . وتجربة النكســـة التي دفعت الجماهـــير

العربية وطلائعها التقدمية لتقديم حساب نقدي صارم خلقت المطالبة الكاملة بتوضيح كل المسائل التي كانت تتم بسهولة وبدون مناقشة . ولذا فالسؤال الان : ما هما هذان الاتجاهان الضاران والمهمان اللذان فرزتهما البورجوازية ؟

الاتجاه الاول : وهو الاتجاه البورجوازي الصغير اليميني . ويمينية هذا الاتجاه متولدة من النزعة البورجوازية الصغيرة التفاهمية المعتدلة . حيث ان البورجوازية الصغيرة قد تحس بالمصلحة المادية لانها تغتني بفتات وصدقات البورجوازية الكبيرة ، ولانها لم تتعرض الى الخراب والتدمير من قبل القوى البورجوازية الكبرى . وهي من الطرف الذي تتواجه به مع الطبقة العاملة وحلفائها ينتابها خوف من الثورة الاشتراكية لما يعتمل فيها من طموح وتطلعات بورجوازية أوسع .

ولقد كان (لينين) محقا في قوله : (لقد اثبت العمل ان قادة الحركة العمالية المنتمين الى الاتجاه اليميني ، هم مدافعون عن البورجوازية خيرا من البورجوازية نفسها .) وذلك لان سيطرة العقلية البورجوازية الصغيرة قد يستحوذ حتى على قطاعات عمالية أو فلاحية من خلال التحريف الايدلوجي وتكريس المسائل الاصلاحية اللاثورية .

ان الثورة العربية فضحت وتفضح الايدلوجية البورجوازية الصغيرة اليمينية في عدة شعارات ومواقف . فشعار (الوحدة) بدون أي محتوى اشتراكي تقدمي ، وشعار (التوقف عن النضال الطبقي) وشعار (الحياد بين الاستعمار والثورات التحررية) وشعار (عدم استفزاز العالم الحر !) .. الخ من شعارات أخرى ، تهاوت أمام المد الثوري العربي ، وخبرت الجماهير العربية زيفها واختلاقاتها .

وبالنسبة للمواقف ، حيث تأكدت الثورة العربية في اصرار الجماهير على الصمود والكفاح المسلح المتصاعد ضد اسرائيل والذين يقفون وراءها من امبرياليين ورجعيين ، فقد انكشف رخص المواقف (المتعقلة والمتروية والهادئة !) . فمؤتمرات القمة لم ولن تكون بديلا أبدا للارادة الجماهيرية الثورية ، والحلول السلمية أعجز من أن تخدع الجماهير وتشغلها عن رأيها في

المقاومة المسلحة الشريفة . وأنصاف الحلول أو سواها كلها سرعان ما رفضتها الجماهير وأعطت رأيها القطعي ضدها .

وكان بديهيا أن التعرية الكبيرة التي قامت بها القوى التقدمية العربية ازاء السلوك اليميني البورجوازي الصغير ولدت موجة ثورية جماهيرية على نطاق واسع . ولم يفت ذلك بصيرة البورجوازية الصغيرة التي سرعان ما حاولت جهدها أن تستغل الموجه لتمتطى قسما منها بغية خلق تحريف جديد مناهض لليمين السابق ولكنه بصورة (يسارية) جديدة . وهذا التحريف الجديد تبلور ويتبلور خلال شكلين : الشكل الاول : الثورية البورجوازية الصغيرة المتهيجة ، المفرطة الحماس ، البالغة الزعيق ، والمرتدية الزي اليساري المتطرف . ويكثر حديثها عن (البروليتاريا العربية) ومسؤوليتها الوحيدة اليوم ، وترفض الحلفاء أو تستخف بهم ، وتتحدث عن القفزة الثورية وترسم مانشيتات عريضة حمراء رنانة وكأنها تتحدث عن (كومونة باريس) أو عن (ثورة اكتوبر السوفيتية) لا عن واقع عربي له مميزاته الخاصة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا . وهذه اليسارية الطفولية الصاخبة توهم نفسها بأن العالم يتغير بالعبارة والنداء المستعر أو بالارهاب الفردى والاغتيال . وقد ذكر (لينين) ان التقدميين يجب عليهم (ان يأخذوا بالحسبان ، بمنتهى الوعي ، المهام المبدئية الاساسية للنضال ضد الانتهازية والعقائدية « اليسارية » ، وأن يأخذوا بالحسبان كذلك الخصائص الملموسة التي يتخذها هذا النضال والتي يجب ان يتخذها في كل بلد على حدة ، تبعا للخصائص المميزة التي تسم اقتصادها وسياستها وثقافتها وتركيبها القومي ومستعمراتها ، وتقسيماتها الدينية .. الخ) .

لماذا اذن توجب النضال ضد « العقائدية اليسارية » المنحرفة ؟ ان جواب ذلك واضح أكيدا ، فهذه (اليسارية) مرادفة للفوضوية ما عدا بعض الخلافات والفروق الظاهرية ، في حين يبتدىء كلاهما من خلفية واحدة ، هي خلفية أن الاثنتين عقوبة ضد الانتهازية اليمينية . فاذا كان الفوضوى ضد أي سلطة لانه عاجز عن استلام السلطة وتسييرها في المجرى الثوري التقدمي ، فأن (اليساري المنحرف) يتحدث عن (الكفاح والثورة) كمفاهيم مقطوعة عن واقع ما ، وتتحول كل المفاهيم الثورية عنده الى مجردات ، واكثر من ذلك الى طغيان

هذه المجردات بشكل هستيري محموم • والاثنان ينطلقان من واقع الفشل وضيق الافق وانعدام الرؤية الحقيقية بدافع معاكس من ايحاءات اليمين الباردة والضبابية • وظهرت صورة أخرى للتحريف وكنموذج للوعي الخلاسي المزيج بين الفوضوية واليسارية المنحرفة تحت تسمية (اليسار الجديد) ، ويدعي حاملو هذه الراية ان منطلقهم هو الرفض للتاريخ اليساري العربي وانهم يبتدئون بداية حقيقية وحيدة تحمل الوعد والبشاره • وهم في الاطار العام يرفعون بهوس شعار (الثورة العالمية) وكأنهم ابتدعوا هذا الشعار لتوهم ، علما بأن الثورة العالمية ليست مفهوما آنيا أو حركة وقتية بل هي المعنى الكلي والانساني للنضال البشري منذ بداياته الكفاحية الاولى ولحين استكمال تحرير الانسان نهائيا في العالم كله •

ولذلك فعندما يفطن هؤلاء الدعاة فجأة الى ضرورة الصياح بهذا الشعار وبهذا الاهتمام العاطفي فمعنى ذلك انهم يريدون التستر على ارتباكاتهم الداخلية وعدم نفاذهم الى فهم واقعهم • أي ان عجزهم عن التجاوب مع الحلول السياسية الني تتناسب مع الواقع السياسي وانطلاقهم من مواقع فردية مهزوزة ومأزومة ومنهزمة أمام عصا عقدهم هو الذي يقودهم الى هذه الطفرة الشاذة فيتحدثون بلباقة عن الثورة العالمية لا كحلم وأمل بشري سرمدي بل وكأنها شغلهم الشاغل والمهمة الانية التي تنتصب أمام اعينهم • وحتما تكون تلك الحالة مجرد لعبة زائفة وبهلوانية متهافتة • وهذه اللعبة ليست جديدة تنبثق اليوم في حناجر المهلوسين والمراهقين المتشنجين في شوارع العواصم الغربية ، تحت نداءات الرفض والثورة العالمية واليسار الجديد وتهديم السلطة البيروقراطية (اشتراكية كانت أو بورجوازية «؟») •• الخ • بل هي لعبة قديمة جوبه بها الثوريون الاشتراكيون العلميون منذ فترة بعيدة • وقد ذكر (لينين) في كتابه (مرض « اليسارية » الطفولي في الشيوعية) ما يلي : (ونذكر عرضا ان الكراس المغفل « الثورة العالمية » الصادر في فينا سنة ١٩١٩ ـ المكتبة الاشتراكية ، النشرة ١١ ؛ اغناتس براند ـ يظهر بأجلى شكل ، كامل سير التفكير وكامل داثرة التفكير ، وبكلمة أصح يظهر الانهيار الى أسفل دركات البلادة والتحذلق والخسة والخيانة لمصالح الطبقة العاملة وكل ذلك مطلي بطلاء « الدفاع » عن

فكرة « الثورة العالمية ») مما يعطي الدليل ان الاختفاء وراء شعار الثورة العالمية هو أمر ليس بالجديد بل أستعمله المنشقون والمخربون واعداء الحركة الاشتراكية .

وبالنسبة لواقعنا العربي لا نستطيع ولا يحق لنا أبدا تعاطي شعار « الثورة العالمية » مع تناسي الحقيقة المعروفة وهي كون الثورة العربية هي مهمة الانسان العربي الثوري وبالتالي تكون الطريق في المساهمة من أجل تنامي الثورة العالمية وعندما يتغافل شخص عن وجود قوى سياسية تقدمية عاملة في النطاق العربي ، ويتغافل عن شروط الثورة العربية في كل قطر عربي ، أو عندما يتحدث عنها بهروبية وتلميح لينتقل مباشرة الى موضوع (الثورة العالمية) وبأصرار وكأن هذه الثورة العالمية قضيته الملحة وفلسفته المسؤول عنها فقط وبسرعة ، فهذا مثار شك كبير ، اذ ان ثمة خديعة ما .

ان النظرية الثورية والمفاهيم الاشتراكية العلمية لم تكن قد شاخت بل ان الذي شاخ هو الذي يتصور ذلك ويظن ان تلك النظرية مجموعة تعاليم وأقوال وليست مرشدا آيدلوجيا يهتدى به في فك العالم من أخطائه . واليسار نفسه يعطى معناه بوضوح فى كل قطر عربي أو غير عربي وفي كل مرحلة دونما تحديدات مسبقة بل يستعرض نفسه كيسار من خلال التحامه بواقعه وضرورات تطوره وانتصاره . أما « يسار اليسار » و « اليسار الجديد » فهي في التحليل النهائي ليست اكثر من مفاهيم تخديرية طائشة تحاول تجريد الثورة العربية من مضمونها العميق بخلق ديماغوغية شديدة الضوضاء . ان الثورة العربية توضح نفسها ضمن مفهومها هذا . أما التفلسف والتفيهق بمزروعات كلامية جديدة فهذا ما لا يكون مصيره بأفضل من مصير الفكر البورجوازي الصغير ككل .

وبعد نكسة حزيران بدا للجماهير ان الكثير من القوى التقدمية العربية أصبحت ذات امكانية على تحليل وتشخيص ورفض الايدلوجية البورجوازية الصغيرة مما يؤيد تثبيت خط ثوري عربي يتطور باستمرار وقوة في كثير من الاقطار العربية .

والذي نستخلصه بعد عرض هذا الموضوع ان الثورة العربية لكيما تستمر وتأخذ طريقها الحقيقي تستلـــزم من كل الثوريين ـ لا سيما اولئك الذيـــن استلموا السلطة في بعض الاقطار العربية التقدمية ـ أن يتحاشوا الوقوع في تلك الاشياء الاربعة التي عانت منها التجارب الثورية في العالم الثالث وكذلك في المنطقة العربية . وهذا هو أبسط ما يجب على الثوريين وعيه من أجل احتضان الحـل الثوري المنشود دون الانخراط في متاهات الانقسامية والاجتهـادات المماطلـــة والتجريبية الضيقة .

مدخل في تعرية الانتهازيين

ان من الاخطاء الكبرى على الحركات السياسية بروز التيارات الانتهازية وتفاقم دور الانتهازيين الى حد يعرض هذه الحركات الى انقسامات وصراعات عديدة تعيق نشوء وتطور الاتجاه التقدمي.. ولذا فان موضوعة كشف الانتهازية وعرية كافة دهاقنتها وقطع الطريق أمامهم هي الموضوعية التي تكتسب في كل مكان وعصر أهمية شديدة الحساسية..

والانتهازية عموما هي حالة منحرفة يتم فيها التخلي نهائيا عن الالتزامات الايديولوجية والمناقبية من أجل انجاز مصالح أو مكاسب شخصية. وقد ساهمت عهود الاستغلال الطبقي والامتيازات في ترسيخ مرض الانتهازية في عدة أوساط حيث تضخم عامل الربح والمصلحة على حساب الاعتبارات الشريفة بحيث أن الانتهازي في تناقضه الداخلي بين ما يتبناه شكليا وما يطمح اليه سرا تتوقف لديه كافة التطلعات التقدمية وتظل مجرد تسميات عادية أو فخاخا.. يجيد نصبها هذا الانتهازي دون سواه. وجذريا نستطيع القول ان نشوء (الملكية الفردية) في التاريخ وما تبع ذلك من توزيعات وتقسيمات اجتماعية متنافرة هو الذي جر تباعا التفكير الانتهازي كصورة من التناقض السائد والعريق بين ما هو (قديم) وما هو (حديث) وبين ما هو (مصلحي فردي) وما هو (عمومي) والتفكير الانتهازي يقف في موقف العاجز عن ادارة دفة تاريخ بلد أو امة. وهو ان يوفق أحيانا في السيطرة على بعض المجالات العملية الا ان تلك السيطرة موقتة ومحدودة وسرعان ما تتبدد تحت حركة الحقيقة الواقعية. ولجوء الانتهازي الى تثبيت سيطرته أو الحفاظ على مكتسباته عبر وسائل منوعة

يستعملها انتقالا من المراوغة الى المجابهة أو من النعومة التأييدية الى العنف الارهابي وكائنا ما كانت الوسائل يظل الانتهازي :-

أولا - عديم الايديولوجية أى انه لا يخطط تصرفاته ومواقفه على ضوء الاسترشاد النظري بموضوعات مبدئية بل ان المبدأ لديه يضحى وسيلة في حين ان (ذاته) تتحول الى قطب الاشياء أى ان حركة وتسلكات الشخص تكون ضمن شعار (من الذات والى الذات) ..

ثانيا - ولهذا فالانتهازى لا ينجز أعمالا منظمة ومدروسة تقود الى غاية ستراتيجية عامة .. فالستراتيجية تضيع لديه في حين انه يكون تكتيكا غريبا يعرف كيف يغير نفسه وآراءه وعلاقاته محافظا على مصلحته الذاتية واعتباراته الانانية كستراتيجية وحيدة يتعبدها في حياته ..

ثالثا - ان الاخلاقية الانتهازية كسمة للانتازى هي تعديم لئيم لكل القيم والالتزامات الشريفة واحلال لقيم مخلة ساقطة ونفعية . وبذلك فعلى عتبة الوجود الانتهازى تتحطم وتتلاشى المثل المبدئية والقيم الاخلاقية وتتعرض الشخصية الانسانية الى اجهاض مخذ . وهذا الوجود الانتهازى في حالة توسع انتشاره في مجتمع ما انما يؤكد الحالة الغير صحية لهذا المجتمع وانزلاقه في احباط مدمر .. ولذلك فان نضال المجتمع من أجل الصحة والسلامة انما يتم عبر مقاومة مستمرة لكل مظاهر الفكر والوجود الانتهازي . وهذا النضال لا يكون عفويا سلبيا بل هو نضال مهيأ له وهنالك طلائع نضالية من صلب مهماتها دحر الانتهازية واستئصال شأفتها . كما وانه - أى النضال ضد الانتهازية - لا يكون مبرمجا ضمن فترة زمنية محددة بل هو رهن بتنامي المسيرة التقدمية الاشتراكية وتعاظمها على اعتبار أن الانتهازية تظل لصيقة بجلد المجتمع كالبثور القيمية لحين الانتهاء من تصفية التناقض الطبقي . وحلول المجتمع الاشتراكي هو وحده الذى يؤذن بامكانية انجاز قطع دابر الانتهازية . مع العلم انه يجب ان لا يكون خافيا ان النضال المثابر ضد الانتهازية لا يكون لفظيا أو بتسعير الحملات السفسطائية أو ذات الدعاوى الضخمة والفارغة من المحتوى بل هو نضال ايدلوجي ثوري أولا ويكتسب واقعيته من خلال العمل واحلال قيم شريفة جديدة تظهر

زيف الانتهازيين وقذارة معدنهم • وبديهي جدا ان الاخلاقية الثورية المؤمنة بالشعب وقدرته على تحرير نفسه هى التى تكتسح الوجود الانتهازي بعد فضحه تحت الشمس وهي التى تزيل التناقض (المنعكس عن التناقضات الطبقية الكبرى) بين سلوك الانسان والمبادىء البشرية المثلى تحقق التطابق الكلى بين الفكر والعمل حسب هدفية التجربة الواعية •

اشكال انتهازية :

والانتهازية في طبيعتها لا تتخذ صورة محددة الملامح أو مظهرا ثابتا ولا يمكن أن تقترن بصيغة مستقرة أو اطار ثابت لانها قلقة متأرجحة سريعة التغير • ونحن نستطيع أن نرصد الانتهازية كوجود جسمي متعين كما يلى ، وبالانواع التالية :

اولا ـ الانتهازية الفردية :

وهذه هي ما تتعلق بالتسلكات الانتهازية للفرد • أى انها تدور حول اسلوب الشخص الانتهازي في اصطياد مصالحه الذاتية وكيفية تغير هذا الاسلوب والعلائق حسبما يضمن تدعيم مركز الشخص • والانتهازية الفردية هنا اما أن تكون مقصودة تتوسل بكل شىء حتى تنفتح لها وحدها الابواب • وتعتمد على الخبث المنظم والمدروس والابتكارى الذى لا حد له وذلك لاشباع الرغبات الذاتية ونيل المنافع الخاصة من توظيف مثلا الى سيادة الى استلام تعهدات ، الى نيل مكانة مرموقة أو حظوة خاصة •• الخ • أو انها ـ أى الانتهازية ـ تكون طبيعية وكجزء من تصميم الفرد (الانتهازي طبعا) السايكولوجي والعقلى دون وجود غايات مشروطة وباعثة على هذه الانتهازية • فنجد مثلا هذا الشخص الانتهازى يقدم على عدة اتخاذات موقفية أو اعتناقات فكرية مرتبكة متناقضة سريعة التبدل وهو لا غرض له في ذلك يرتجيه ولا مطمع • فاذا يكون الانتهازي من النوع الاول عقلانيا يستعمل عقله في تكريس الانتهازية واقتناص المبتغيات الفردية فانه في النوع الثانى لا يدرك ذلك كله بل ان تركيبه العقلى والنفسى موزع وغير منظم فتخمد سيطرة العقل لديه على الارادة ويعيش تشتتا

ارادياً أو فصامية ضارة • وهكذا فان النوع الاول يختط بوعي منه وارادة كاملة السلوك الانتهازي ويلحق بالمجتمع أضرارا فادحة وتخريبية في حين أن النوع الثاني يشكل ضحية من الممكن انقاذها • وهذه الانتهازية (الضحية) تكثر في المجتمع الذى تسوده العبودية الاقطاعية والروابط الاسترقاقية حيث أن الكثيرين مقذوفون في جهل مطبق متحولين الى حيوات مسكينة منقسمة تحت تأثيرات عديدة وظالمة • فهنالك (الفلاح) المتردد التائه المثقل بالخرافات والذى يشرح لك ظلم رجل الاقطاع واضطهاده وتفاجأ بعد حين لتراه يمشي وراءه ذليلا • وهنالك ـ الموظف ـ أو ـ المتعلم ـ الذى يتحدث عن سيئات الاقطاع وخطورة سيطرته دون أى مانع في وقت اخر أن يبدي ملقه للسيد الاقطاعي صاحب المكرمات والنبيل الذى لا يدانيه أحد ! وهنالك (الكاسب) أو ـ الحرفي ـ أو ـ المنتج الصغير ـ الذى لا ينفك من اعلان كرهه للمستحوذين المستثمرين الذين لا يجيدون صنعة أو عملا بل يسرقون جهد وعمل الاخرين ، في حين يمارس زلفى مستمرة وتوددا خاصا لهم • هذه نماذج منوعة ، ومن الطبيعي أننا نقصد أصنافا منها دون أن تشمل بذلك (الفلاحين) عموما أو كل ـ الكسبة والحرفيين والمنتجين الصغار ـ أو كل المتعلمين والموظفين بل نعني نوعيات معينة من بينها • وهذه النوعيات هي التى وسمناها بالضحية • فجور واستغلال السادة ـ المالكين ـ وتغلغل العبوديات في نخاع الانتهازية هو الذي تا مر على تشويه النفس فنشأة الانتهازية كمرض لا يد للمريض في نشوئه • ومثل هذه الانتهازية الغير مدروسة والساذجة من الممكن معالجتها وذلك بفعل التغيرات الثورية في صلب المجتمع مع ما يرافق هذه التغيرات الواقعية من توعية وجهد تثقيفي •

أما الانتهازية المدعومة بالعقل والتى ترسم كارادة وقرار فهذه ـ في المجال الفردي ـ نجد لها عدة أشكال • ولعل أبشع هذه الاشكال عندما يتظاهر شخص معين باعتناقه مبدأ أو شعارات الحزب الحاكم بغية تمرير مصالحه في حين انه لا يحس بأية صلة حقيقية بمبادىء هذا الحزب أو شعاراته • والانتهازيون من هذا النوع يكثرون ابان التحولات السياسية الكبرى • وقد تفننت البورجوازية في صنع الانتهازيين من هذا الصنف المحتال الذى يجيد

القفز على الحبال أو يحول كل الاشياء كما يريد للقيام بأفظع التمويهات وأخطر اللعب • وبما تملكه البورجوازية من امكانيات ثقافية وفنية ومادية ، فان الفرد الانتهازي يكون مسلحا بأدوات مباشرة واخرى احتياطية يستعملها في الكر والفر وفي المغانم والخسائر • والبورجوازيون الكبار لا يخفون بالطبع واجهتهم ، انهم يعلنون أنفسهم بأنهم بورجوازيون حتى العظم ولذلك فهم ليسوا انتهازيين لتطابق القائم بين واقعهم ودخيلتهم وبين تصرفاتهم وآرائهم • ولكن الانتهازية تكثر عند البورجوازية المتوسطة والصغيرة • واذ تكثر الانتهازية الاجتماعية والاخلاقية عند البورجوازية المتوسطة فان الانتهازية السياسية تتعاظم عند البورجوازية الصغيرة وتتوالى في التبجحات السياسية الكثيرة وفي اعتناق مبادىء يساريه ثم الطواف في (حرم) اليمين مع ما يناسب ذلك من تطرف أو اعتدال أو تراجع وتكثر الانتهازية هذه أيضا عند سماسرة البورجوازية • والجميع من انتهازيي هذا الصنف لا يرتدعون من اعطاء التأييد بسهولة وخلعه بأكثر سهولة ما دام قانون (المصلحة والربح) يشير عليهم بذلك •

ثانيا – الانتهازية المجاميعية :

ثانيا – الانتهازية المجاميعية وهذه الانتهازية لا تتمثل بأفراد يؤدون انتهازية باستقلال واقتصار على ذواتهم •• بل انها تتمثل في مجموعات ينتظمها سلوك معين واتفاق بين أفرادها وقد تبدو على هيئة أحزاب هامشية طارئة • أو على هيئة تجمعات وقتية • وتكثر هذه المجاميع الانتهازية عندما يكون الحكم غير معتمد على الجماهير فيلجأ الى توزيع بطانته في عدة مجالات للعمل والتطبيل • وفي العهد المباد مثلا كان الحكم يصنع أحزابا عميلة تأتمر بأمره حتى يحقق مآربين :

الاول – استعمال هذه المجاميع الحزبية الزائفة في خلق انقسامات واسعة في صفوف الشعب عن طريق تأجيج الخصومات العشائرية والطائفية وبين القوميات أو الاقليات المختلفة • وبذلك يفتح ثغرات كبيرة تهدد وحدة الشعب وتطيل من أمد سيطرة الحكم العميل •

الثاني ـ انها توحي بوجود ديمقراطية وحريات غير منقوصة سياسيا ، فتستعمل ذلك للدعاية لها وتقديم صور مقنعة عن الوجه الكالح للسلطة • ولكن تلك الاحابيل لا تنطلي أبدا على يقظة الجماهير التى تسخر من هذه الديمقراطية (القرقوزية) وتنبذ ان عاجلا أو آجلا كل حزب أو صنف انتهازي • وهذا ما جعل ويجعل كل الاحزاب من ذلك النوع طارئة وشكلية ومعرضة للزوال •• بعكس الاحزاب التي تحتفظ بأصالتها الفعلية • وغالبا ما تكون الاحزاب الممثلة سياسيا للطبقات الكادحة أحزابا حقيقية في حين أن الاحزاب التى تؤجر نفسها لشراذم المستغلين وقطاع الطرق ومصاصي الدماء هى أحزاب تافهة يبطل مفعولها سريعا •

وكلما حدث تطور سياسي هام في صالح الوطن وتحققت انجازات تقدمية بناءة كلما انفضحت المجاميع الانتهازية وتعرت فهي لا تصمد أمام ارادة الشعب المهيأ له تمثيل ارادته • وعندما نؤرخ حياة هذه المجاميع فلا بد أن نقول أنها ظهرت خلسة واختفت خلسة • وهذا قانون موضوعي لانها لا تاريخية وغير ضرورية ولا تحمل أية نبوءة أو صيغة واضحة للمستقبل •• وأمام الوعي الحديث وانتشار الفكر الجريء تتهدم كل هاتيك الاشكال التحزبية والانتهازية التى لا يمكنها المتاجرة بالافكار كائنا ما كانت تدعي (التقدمية) فحبل الكذب قصير ورؤية الشعب الثورية وقوة حدسه سرعان ما تفسد على تلك التجمعات أساليبها الماكرة وادعاءاتها المسمومة • وبالنسبة لواقعنا العربي أدرك الشعب العربي أن مصيره لا يمكن أن يخطط له من قبل مجاميع انتهازية أفاكة • واختياره الطريق الثوري هو الذى دفعه الى اعلان عدائه للحكومات الانتهازية وقواها المصنعة • وما موقف الشعب العربي في الشقيقة (تونس) الا دليل على أن تصالبه الشعب وصموده ورفضه للانتهازية الجبانة أقوى من كل فاشستية الانتهازيين المستشرين ضد أبناء بلدهم والاذلاء لطغمة الارهاب والاستغلال • وان كل التنظيمات الشائهة التي يتعكز عليها الحكم الرجعي لا تقوى أبدا على حماية نفسها أمام ريح الشعب العاتية التي تشخص الانتهازية في زمن الحرب مع الصهيونية كخيانة يدمغ صاحبها باللعنة الابدية •

ثالثا ـ الخطوط الانتهازية :

إن الخطوط الانتهازية يجب أن تولى اهتماما خـالصا بحيث يتـوجب اعطاؤها قدرها دون مبالغة أو تهويل . ونقصـد بالخط الانتهازي وجـود مجموعة انتهازية تسلك موقفا انتهازيا مع انها ضمن (تنظيم) تقدمي لم يـأل جهدا في اعلان التزامه المطلق لقضية الاشتراكية أو الديمقراطية الثـورية . والتقدير الواعي هنا يدفع الى عدم الوقوع في انزلاقة ضالة أي انزلاقة دمـغ التنظيم بكامله بالانتهازية . بل هو يوضح تماما تقدمية التنظيم مثلا مع وجـود اللونيات الانتهازية أو طرائق التفكير الانتهازية . فعندما تكون قواعد (التنظيم) النظيفة وتاريخية التنظيم المشهودة دالة على نوعية التنظيم وجودته فان انتهازية القيادة أو وجود خط انتهازي يمتد من بعض أجزاء القيادة الى بعض القواعد لا يمكن أن يمسخ الوجود التنظيمي بأكمله .

ومن الملاحظ في تاريخ السياسة ، لا سيما التاريخ الثوري أن هنـالك بعض العبارات التي تشرح أن الحزب (الفلاني) التقدمي قد سلك في القضية كذا سلوكا انتهازيا . وذلك وارد كثيرا ومعناه أن الموقف أو الاجراء المطلوب ازاء حدث سياسي معين لم يكن صحيحا أو أنه كان مسرعا أكثر مما يجب أو مبطئا أقل مما يجب . ولذا فالقول بالانتهازية هنا لا يشمل الحزب بكامله فلا يقال أن الحزب الفلاني انتهازي في حين أن من الجائز القول أنه سلك طريقا انتهازيا أو أعطى رأيا انتهازيا .. ويـكون من الانتهـازية هنـا أن يوصم (التنظيم) التقدمي المخلص بالانتهازية لكونه انجر الى خطأ أو موقف منحرف و (البورجوازية الصغيرة) المعرضة أكثر من سـواها للوقوع في خطـر الانتهازية هي التي تمتاز بشروعها واقدامها على تضخيم التهم وكيلها بشـكل حدي ونهائي لا يقبل الدحض . فبمجرد أن يخطىء شخص طيب أو تنظيم تقدمي أو قوة سياسية ذات رصيد نظيف يسارع البورجوازي الصغير الى الطعن ويقدم تحليلاته القطعية بخيانة هذا الشخص أو التنظيم . واذ يتحول (الخطأ) الى (خيانة) في عرفه فمعنى ذلك ان كل امكانيات التسوية والتعديل تضحي مستحيلة أمام جمودية اصراره المتعنت .

والخطوط الانتهازية بالنسبة للقوى الرجعية هي كثيرة ولا حد لها . أما بالنسبة للقوى التقدمية فقد تتخذ عدة أشكال ومن هذه الاشكال تنامي (الانتهازية اليمنية) بما تقدمه من تنازلات ومساومات وانتكاس أمام البورجوازيين والرجعيين فتحل (الاصلاحية) بديلا ل (الثورية) و (التوفيقية) بديلا (للصراع الطبقي) وتعاظم (الديبلوماسية) حتى يتم اجهاض وسقاط الوعي الثوري . وهذه الانتهازية اليمنية المساومة الجبانة المترددة هي خضوع غير مباشر للسلطة البورجوازية والايدلوجية البورجوازية العالمية .. وهنالك (الانتهازية اليسارية) وهي التي تدعي (الثورية) أكثر مما تتحمله طبيعة الثورة وترفض كل المبادرات والطاقات التي يمكن الاستفادة منها سلميا وتصر على نصوص ثابتة وتكرس نفسها لجمود مذهبي طفولي يترفع عن دراسة ظروف وخصائص كل بلد . ولانتهازية اليمنية واليسارية هما تحريف جلي للفكر اليساري الحقيقي وصناعة بورجوازية صغيرة غير مؤهلة لفهم شروط العمل الثوري وانضاجها وتطويرها . والتخلص من مضاعفات الانتهازية اليمينية واليسارية لا يتم بالعداء المستحكم والضاري بل يتم عبر النضال بلا هوادة ضد الاخطاء والتحريفات وعن طريق ممارسة الانتقاد والنقد الذاتي بحيث توجد الفرصة أمام الانتهازيين من هذين النوعين لاعلان أخطائهم ونبذها نهائيا . والتجارب الثورية في العالم تذكر لنا عينات عديدة من المواقف الانتهازية والخطوط الانتهازية التي ستطاعت اعادة النظر في مواقعها ومنطلقاتها واقرار منطلقات جديدة بعد حملة نقد ذاتي مرير تمارسها ضد نفسها .. وبالعكس فقد كانت هناك خطوط انتهازية أصرت على انتهازيتها وتشبثت بمواقعها المدانة حتى استحقت أن توصم بجدارة بالخيانة . اذن ينبغي القول أن مسألة فرز الخطوط الانتهازية عن القوى التقدمية ما هي الا مسألة تحتاج الى دقة متناهية وبحث استكشافي شجاع وامكانية ايدلوجية ممتزجة مع العمل الثوري بتلاحم وطيد . وان أي خطأ في عملية الفرز هذه قد يؤدي الى تصادمات عريضة وتعويق للمسيرة الثورية في حين أن الفرز الصحيح والموضوعي والمدعوم بأدلة وشواهد ومعلومات انما يكسب القوة السياسية التقدمية صحة ونشاطا وفرصا عديدة للنجاح ..

اشكال غير انتهازية :

هنالك مواقف عديدة توصم بالانتهازية دون سابقة عملية ، بحيث تحولت تهمة الانتهاز الى تهمة سريعة اللصق وكأن أي موقف مغاير تكون مغايرته أو غرابته مدعاة لاطلاق التهمة عليه • ونظرا للخطر الكبير الذى يجر اليه الاتهام بالانتهازية بلا مبررات مقبولة فاننا ينبغي أن نحترس تمام الاحتراس عند ازجاء الاتهام • وبدءا لا بد من التساؤل عن ماهية الخطر أو الاخطار المترتبة من ذلك :

أولا – ان الانتهازية قد تكون اصرارا على مقولات ايدلوجية صماء مع ترك الواقع العملي • ولذلك فالعملية والتجربة التي تمنح دلالاتها من خلال نجاحها الفعلي قد تتعرض لتهمة الانتهازية من قبل الايدلوجيين المتشددين في العرض النظري والنتيجة خسارة الواقع وربح الكلام فقط !

ثانيا – ان اتهام الغير انتهازي بالانتهازية لا بد أن يحمل من الجانب الاخر الصمت المدلج وغض النظر عن انتهازي حقيقي •• وبذلك تضيع المقاييس وبضياعها تحصل اعاقة وتعطيل لكثير من الطاقات الصاعدة والمغيرة •

ثالثا – تبادل الاتهامات تجد تشجيعا لها من قبل الفكر البورجوازي الخصم العنيد للفكر الثوري • وغاية الفكر البورجوازي بالاصل تشتيت الوعي الثوري وخلق انقسامات عديدة في معسكر القوى التقدمية والاشتراكية •• وأمام ترداد المطاعن بسخونة تتعرض الجبهات الثورية الى أزمة خلافات وشكوك متناثرة ربما تؤدي الى قيام حروب أهلية جانبية •

ومن هذا فان من الضروري استقراء كامل المعلومات والادلة والاحصائيات وفحصها بدقة واخلاص قبل أن يصدر أى حكم على فئة أو شخص • ولعل من المهم هنا تناول بعض الاشكال السياسية الغير انتهازية التي درج العديد على تسميتها خطأ بالانتهازية •

١ – المرونة السياسية : ان المرونة السياسية تعني عدم التكلس ضمن حدود وحركات ثابتة لا تتغير • وهي أساسا قدرة على ايجاد التغيرات التكتيكية التي تضمن مد أقصر الطرق الموصلة الى الحد الستراتيجي •• فهي تتجدد – أي

المرونة ـ من خلال حركة وتجدد التكتيك دون التخلي عن الصلابة الستراتيجية وفيما اذا تهدمت الستراتيجية أو انتفت فان المرونة هنا ليست الا من قبيل الانتهازية .. بينما يعني التشدد في ثبات التكتيك كاستمرار للصلابة الستراتيجية عدم فهم حقيقي لجدلية التاريخ والسياسة .. وعندما يلجأ تنظيم معين يمتاز بوضوح ستراتيجية الى احداث تغيرات مفاجئة أو غير متوقعة في وسائل وأساليب عمله وعلاقاته تكثر الصيحات المتهمة والغاضبة ضده الى درجة الحراجة في حين يكفل الزمن نفسه عملية وصواب التبديل السريع في التكتيك . ولنأخذ مثلا على ذلك استشهادا برسالة (لينين) الى ـ العمال الامريكيين ـ يقول : (عندما أطلق ضواري الامبريالية الالمانية قواتهم في شباط عام ١٩١٨ ضد روسيا العزلاء من السلاح والتي كانت قد سرحت جيوشها اتكالا منها على تضامن البروليتاريا الاممي قبل أن تكون الثورة العالمية قد نضجت كل النضوج لم أتردد وقتذاك لحظة واحدة في (الاتفاق) مع ملكيين فرنسيين .. ويضيف : (قال لي الضابط الفرنسي دي لوبرساك : ـ أنا ملكي وهدفي الوحيد هزيمة ألمانيا ـ ، أجبته هذا غني عن البيان . ولكن ذلك لم يمنعني اطلاقا من ـ التفاهم ـ مع دي لوبرساك بصدد الخدمات التي كان ضباط فرنسيون من خبراء النسف يرغبون في تقديمها لنا لنسف الخطوط الحديدية قصد عرقلة الغزو الالماني) ويكمل لينين : (هذا نموذج لاتفاق يؤيده كل عامل واع ، اتفاق في مصلحة الاشتراكية . تصافحنا الملكي الفرنسي وأنا ، وكل منا عارف جيد جدا أن ـ زميله ـ مستعد لشنقه بكل طيبة خاطر . ولكن مصالحنا كانت متوافقة مؤقتا فضد الضواري الالمان الذين كانوا يهاجموننا ، استخدمنا نحن في مصلحة الثورة الاشتراكية الروسية والعالمية ، المصالح المعاكسة لامبرياليين اخرين ... الخ) ان من المؤكد أن هذا الموقف اللينيني الموضح أعلاه كان قد لقي معارضة شديدة . ولكن بعد النظر ووضوح الستراتيجية هو الذي قرر صلاحية الاسلوب . وجاءت الاحداث لتؤكد صوابه . وحدث مثل هذا في (الحرب العالمية الثانية) عندما حدث اتفاق وقتي ـ هدفه ـ بين الاتحاد السوفيتي وألمانيا النازية فضجت جهات عديدة بالصراخ والاتهام

بالتواطؤ ولكن بعد ذلك كانت النتيجة أن (الجيش الاحمر) تمكن من اكتساح (برلين) .

وبالنسبة لواقعنا العربي وتجربة الحرب بين شعبنا وبين الصهيونية . من الممكن الاستفادة من أية قوة أو شحنة معادية للصهيونية واقامة صلات اتفاقية تقررها مصلحة شعبنا حتى وان كانت هذه القوة رأسمالية . علما بأن هذه الصلات انما يتم حصولها ضمن المنطق الثوري والستراتيجية الثورية لجماهير الامة العربية . فالاستعانة بالذين تقل نقاط الخلاف بيننا وبينهم ضد عدو مباشر يهددنا يوميا هي الوعي الثوري العملي الهادف بعينه . وذلك كله لا يشكل انتهازية على الاطلاق على المدى الجماعي أو مدى المجاميع والافراد بل ان الانغلاق والتزمت والتحجر هي التي تفتح الممرات أمام أنواع غريبة من الانتهازية . بينما تكون المرونة التكتيكية زائدا الصلابة الستراتيجية مثار نجاح التجربة الثورية وتعاضد النظرية بالممارسة .

٢ ـ هنالك حالة تطورية يعيشها الشخص أو المنظمة وذلك عن طريق الانتقال من منطلقات سابقة الى منطلقات جديدة أو من عقيدة مذهبية الى عقيدة اخرى . وهذه الحالة تتم بعد قناعة تامة واختيار ذاتي جديد يتحمل كل ما يقتضيه المعتنق الجديد من تضحية وبذل . والشائع أن التغيرات التي يعيشها الشخص أو منظمة معينة هي نوع من أنواع التلون المؤذي . حتى أن الشائع هذا جرف ضمنه كل التغيرات .. والتطورات الحاصلة بعد حدوث رؤية جديدة واعتقاد جديد .. ان التلون في حقيقة أمره هو ضمور الارادة الشخصية واختفاء الخلفية الايدلوجية مما يوقع في تغيرات وتناقضات عديدة لا مبرر لها ولا تفسير . وعند المتلون تنتفي وجود الحقائق الموثوقة ويصبح كل تصرف أو رأي مجرد تزوير صفيق . بينما الحالة التي نعنيها هنا والتي لا يمكن بأي حال اعتبارها تلونا هي وضعية مستحدثة فرضتها مدارك الشخص والتطورات القائمة في الاوضاع المحيطة وما لذلك من صلة وتأثير على أفكاره مما يؤدي الى الانتقال ايدلوجيا ونفسيا الى الجانب الجديد . والفارق بين المتلون والمتطور هنا يتمثل في صلابة الشخص واصراره على معتنقاته الجديدة . فاذ يهرب المتلون من التضحية

والخسارة ويغير معسكراته بسهولة ويسر نجد أن المتطور يواظب على الاخلاص لاتجاهه المستجد ويقدم أية تضحية محتملة • والتثقيف الذاتي المستمر قد يلعب دورا هاما في تطور الشخص • ولذلك نجد أن أغلب التحولات تتم بعد انفتاح الشخص على الاقطار العالمية ومطالعته لها بوعي واهتمام • وبذلك ليس من المستغرب ولا يثير أي عجب أن ينتقل شخص ما من حزب الى اخر أو من منظمة الى اخرى أو من دين الى اخر •• الخ فذلك وبعد توفر مستلزمات الاخلاص للوعي الجديد شيء هام وضروري يجب احاطته بالرعاية والتقدير • وما أثقل ما تلعبه كلمة (التلون) في هذه الحالة من دور ينتهك حرية الفرد في رسم طريقها والتعبير عن تطلعاتها •

وبالنسبة للتنظيمات السياسية قد تتعرض الى تغيير ايدلوجيتها وتتبنى مواقف جديدة بمقتضى ذلك • وهي في هذا التغيير انما تكون مدركة لفشل مسيرتها السابقة أو لعدم جدارتها في المواكبة وبذلك تنفرض عليها التبدلات كضرورة داخلية بدونها يتهدم كل شيء • وما هذا التغير الا حالة صحيحة من حالات الانكشاف وتخطيط الحركة الجديدة فيما اذا كان يستجيب أكثر فأكثر الى نداءات الثورة المعاصرة •

٣ ـ من القضايا التي يعانيها العديد من الحزبيين الذين يتخلون عن تنظيماتهم السابقة أنهم يتهمون من قبل التنظيم بالانتهازية وبنعوت اخرى غير شريفة • واولئك الذين يتركون تنظيماتهم لهم أسبابهم العديدة وكائنا ما كانت الاسباب من الممكن تلخيصها بنوعين : فاما أن تكون نتيجة ثقة بعدم جدوى العمل الحزبي والتشبع بانطباع سيء عن الحزب ـ تكتيكا أو ستراتيجية أو تنظيما ـ وبذلك تتوفر عند الشخص المنقطع عن العمل الحزبي قناعة ذاتية في رفض هذا العمل • أو أنها تكون أسبابا انتهازية فعلا نتيجة لمطامح مخذولة أو لجبن أو للعب على الذقون •• الخ •

ومن ذلك يتضح لنا أن الانتهازية لا تطلق جزافا كصفة على جميع الخارجين على أحزابهم أو منظماتهم الاولى • واذ توجد حساسية خاصة بين التنظيم والشخص المتمرد على التنظيم فان هذه الحساسية تبيح الصاق التهم بدون

مقاييس وأدلة موضوعية ، مما يسبب تخخلا فظيعا وعدوانا على (الفـــرد) في حقوقه وممارسة حرياته .

أعراض الانتهازية :

ان الاصابة بمرض الانتهازية تتبدى عبر أعراض واضـــحة تكشف تلك الاصابة . ومن ضمن هذه الاعراض تغير المنطق الانتهازي تغيرا سريعا موقوتا . فاذ يتبنى الانتهازي قضية معينة يعود ليتبنى أمام مصدر أو جهة اخرى قضـية معاكسة . وفي الحالتين يسخر منطقه بصورة ماكرة لاثبات عدة وجهات نظـر مرتبكة متعارضة دون أن يحاول المجابهة ، لانه متى ما وضع نفسه بين الطرفين المتضادين ـ واللذين أوحى لهما بالتأييد كل على حدة ، فانه ينكشف بسرعة .

ولذلك فالانتهازي حريص أغلب الاحيان على أن يتخفى حتى لا يقـــوده تأييده الشكلي الى جهة ما لخصومة جهات اخرى . ان تستر الانتهازي هـــو وقاية من الفضيحة التي تنجلب له عندما يحاصر بين كل اولئك الذين لعب معهم لعبته ، فعند الاجتماع المتعدد العناصر ينسحق الانتهازي تحت وطأة مغالطاتـه وأكاذيبه الخرقاء وفي أحيان نادرة يلجأ الانتهازي الى تبني موقف ما أو تأييد قوة معينة علنيا وبوضعية تهريجية ، وذلك بعدما يتأكد من صلاحية ذلك له . وبطبيعة الحال يكون الشخص الانتهازي ذا أخلاقية تافهة فهو من مثيري الفتن والمشاغبين ومختلقي الروايات لانه أساسا ما هو الا دسيسة رخيصة توقع بـين الاخرين ادراكا منها بأن الصفاء والاتحاد خطر عليها ولذا فهي تحارب مـــن أجل تكثير الخصومات حتى تنتقل كما تريـد وتتشـاغل الابصـار عن متـابعتها وفضـحها .

وفقدان الاخلاق بالنسبة للانتهازي يقـــود الى مواقف غريبة جـــدا . فالانتهاري لا يعرف أبدا تحييد نفسه انه دائما يتدخل ويزج نفسه في كثـير من القضايا والمسائل وبتطرف مثير للتساؤل . انه خلال فترات زمنية صـغيرة متقاربة يخطو خطوات اندفاعية عريضة الى الامام والى الخلف والى الجانبين . ولا مانع أن يثرثر بكثرة ثم يصمت صمتا مفاجئا . ويختلط بكثرة ثم ينعـزل فجأة . انه يحتوي كل التناقضات الممكنة سائرا فيها الى أقصى حد . وبذلك لا

عند الانتهازي العمل الثابت والواضح المعالم ، ولا يمتلك المنطق الرصين المتماسك ولا يتخلق بالاخلاق الشريفة والمستقيمة • وحتى اذا افتعل ذلك كله فالافتعال ينفضح تحت حركة الواقع الصلبة • وفي ذلك كله يظل الفارق قائما بين الانتهازيين الدهاقة ! وبين الانتهازيين العاديين ولو أن هنالك جامعا واحدا ينتظمهم •

وبالنسبة للانتهازيين عموما هنالك ظاهرة مهمة تلمهم وتوحدهم وهي ظاهرة الانجذاب القوى نحو الامتياز • والامتياز يتخذ بالطبع أشكالا عديدة كالميل لنيل المكاسب المادية والوظيفة ، أو الميل للتسلط والسيطرة •• الخ •

والانتهازي الذكى الذى لا يريد كشف أوراقه بسرعة في الانبهار أمام بريق المغنم لا بد أن يسقط في وقت اخر ساجدا أمام دعوة الجاه أو السيادة أو المكاسب الذاتية • ولاجل هذا نرى المتاجرة والعقائد عند الانتهازيين كسلعة رائجة فيما اذا كانت تضمن لهم ربحا موفقا • وفي عملية المتاجرة تكون كل امكانيات الانتهازي ومهما كانت أخاذة أو ساحرة مجرد وسائل شيطانية لتحصيل مآرب دنيئة قذرة هذا بشكل عام وبشكل خاص نستطيع أن نقول ان الانتهازية السياسية قد تظهر بالنسبة للخطوط السياسية عبر الانتقالات اللامبدأئية والتوريطية من اليمين الى اليسار وبالعكس وكذلك عبر عدم الفهم للتناقضات القائمة والعجز عن ايفائها حقها وتقديم التناقضات الفرعية على الرئيسية ، وعبر ضرب رأي القواعد عرض الحائط وتطبيق شعار (نفذ دون نقاش !) وان الاختلالات في ادراك العقيدة وتأثيرها الانقلابي ، وعدم القدرة على ربط التكتيكات بالستراتيج والخاص بالعام والثانوي بالاساس كلها عرض من أعراض الموجة الانتهازية •

ما هو الطريق للقضاء على الانتهازية ؟

ان القضاء على الانتهازية وبناء مجتمع صحي ينبذ الانتهازية كشذوذ خطير لا يمكن أن يتم الا بواسطة جملة من الوسائل العلمية والفنية • والوسائل العلمية هي الوحيدة ذات البدوى في أداء المهمة بجسارة بعد أن تأكد أن

المواعظ الاخلاقية والتوصيات والشروح المضادة للانتهازية لا تستطيع أن تغير واقعا لابداله بواقع اخر • أما الاسلوب الفني فهو كيفية اشغال واستثمار طاقة دحر الانتهازية بوسائل ذكية وتصرفات فعالة مرنة تتغير حسب طبيعة المرحلة وطبيعة الانتهازية الموجودة •

ان القضاء على الخطر الانتهازي يكون رهنا بما يلي :

أولا ـ حصول تغيرات جذرية في بنية المجتمع وقواه الاقتصادية وذلك بفعل تشريك وسائل الانتاج وانشاء علاقات اشتراكية وأنماط اجتماعية متحررة تصفي جميع أشكال الاستغلال فالانتهازية لا تترعرع الا في الوسط المضطرب والاانساني ذلك الوضع الذي تكيفه القوى الاقطاعية والبورجوازية كيما يكفل لها تأكيد نفوذها • وكلما تطول الفترات الانتقالية وتتقلص امتدادات التغير كلما اعنم الجو السياسي والاجتماعي بشوائب الانتهازية التي تتوالد باطراد • وبالنسبة للجماهير العراقية التي عاشت ملحمة غريبة منذ عام ١٩٥٨ ولم تستقر على وضع سياسي تقدمي اشتراكي تظللت بغيوم القلق في أوقات عديدة • وبين القلق والشكوكية واختلال الامن العام تكاثر الوجود الانتهازي تكاثرا سرطانيا • ومن السذاجة أن نظن أن الارشادات المستمرة والتوجيهات قادرة على جر الانتهازية من الساحة نهائيا • انها قد تستطيع القيام ببعض النجاحات جزئيا ووقتيا لكن ذلك لا يعني أبدا صحة الاخلاد اليها كوسيلة ناجعة • فبدون الاقدام على تحطيم المؤسسات القديمة والرجعية وتوطيد أساسات التغيير الثوري ، وبدون الصلابة الواعية في التخطيط والبرمجة الاشتراكية وبدون الانجازات التقدمية الى الشغيلة الكادحين لا يتهيأ أبدا المناخ الحقيقي لتمويت الانتهازية • فمثلا نرى أن العراقيل العديدة التي وضعت بوجه الاصلاح الزراعي سابقا دفعت الفلاح المتأخر أن يشك بنوايا المسؤولين الذين لم يعطوه الارض الموعودة ولذا فقد اضطر أن يرتمي مرة ثانية في حماية رجل الاقطاع (الذي قد تكون يده أطول من يد الفلاح !) أي أن الجو الانتهازي هو الذي تمثل له كجو وحيد لا يقوده الى التهلكة • ومثل هذ قد يحصل بالنسبة للعامل الاجير الذي لا يتحسس أي تطور ملموس لصالحه والذي لا يمتلك وعيا

جيدا يطرد المشاعر الانتهازية ومواقف الارتماء في خدمة السيد مدير الشركة وصاحب المعمل .. الخ . وسياسيا كان تسابق القوى على السيطرة على الشارع والمراكز الاجتماعية ينمي هذه الانتهازية من خلال عملية شراء التأييد بأي ثمن . ونستطيع أن نذكر مثلا بسيطا على ذلك . في المباريات الانتخابية تلجأ القوائم المتنافسة في الاستعانة أحيانا بعناصر ذات تأييد طارىء أو مصلحي . وهي في ذلك انما تبغي أن لا تنحصر القائمة بوجوه معينة ذات صبغة معروفة وتحاول توسيع النطاق لدخول أفواج جديدة غير مشمولة بصبغتها . وهذ بدوره قد يوقعها في خطر التسلل الانتهازي الى جبهتها . اضافة الى أن الرجعية تنشط في مواسم الانتخابات لتستعمل الكثير من الانتهازيين في تحقيق ما ربها معتمدة بذلك على الرشاوى والمدفوعات النقدية التي يسيل لها لعاب الانتهازيين وبعد ذلك لا مانع أن يرسم الانتهازيون صورة الجولة مستعملين كل الامكانيات في الغش والاحتيال والنفاق والتزوير والوسائل الفاشستية لانتهاك حرمة الحقوق الديمقراطية في الانتخابات . وعندما تكون السلطة ـ أي سلطة ـ غير ملتزمة بثبات بالقيم الاشتراكية والانسانية ، وتضع نفسها في موضع المساومة مع أعداء الشعب فانها تتحول الى أداة ارهابية تنسف كل القيم الانتخابية الحرة وتنتقل الى حالة لا تحترم فيها نفسها بفعل المأجورية التي تمارسها لخدمة سراق حقوق الجماهير . وفي وضع مكشوف تعلن فيه السلطة عن رجعيتها أو تساهلها مع الرجعيين والبورجوازيين لا بد أن تتقوى الانتهازية وتفرخ . ولا يقطع هذا الدابر الا وجود حكم ثوري تقدمي ديمقراطي يتبنى بأمانة واخلاص مطامح الشعب الحقيقية ومن هنا فان اقدام السلطة الوطنية على اشاعة المكتسبات الثورية الهامة هو وحده الذي يضمن ضرب مواقع الانتهازية وقصم عمودها الفقري . وبدون هذه الضرورة لا يتيسر النجاح في المعركة ضد أخطار الانتهاز والتحريف . ان التطبيق الثوري للاصلاح الزراعي وتعميق سياسة النفط الوطنية والعناية بالمرافق المؤممة وتوفير الديمقراطية للقوى الشعبية العاملة وتوضيح الاستراتيجية الثورية وتهيئة المؤهلين الكفوئين لاشغال الوظائف وتنقية الجهاز الاداري ، كل ذلك يعطي للسلطة مبادرة كبرى في ضمان جو سياسي واجتماعي واقتصادي مشرق لا مجال للانتهازية فيه .

ثانيا ـ التثقيف والتثقيف الذاتي : ان المستغلين وزمر الطمع النهمة لا يستطيعون تدبير مخططاتهم وتقويتها في الظروف التي ينشط فيها الوعي وتتزايد القدرات الثقافية .. لذلك فهم يلجأون الى وسائل عديدة وماكرة لايقاف المد الثقافي .. وأمام عجز (المكارثية) عن ابادة الفكر فان مخططا اخر يجري تنظيمه بدهاء وهو بث السموم الفكرية وتغذية الوعي المنصرف .. وبذلك يكثر التزوير ودس المعلومات المضللة في حملة رعناء تتظافر من أجل الجهل أو ببديلا له هو الثقافة الصفراء .. وأمام حقيقة أن لا حركة ثورية بدون وعي ثوري تكون القوى التقدمية مسؤولة عن نشر الثقافة الاشتراكية فذلك وحده القمين بلحباط المخططات التخريبية في حقل الثقافة ووحده المانع الذى يعيق حركة النشاط الانتهازي في التعليم والتوجيه .. ان الثقافة الثورية تجعل من صاحبها مرتبطا بحقائق علمية موضوعية لا يستطيع استنشاق غيرها . وهذا التلازم بين شخصية المثقف الثوري والثقافة الثورية يجعل المثقف في كل الحالات منسجما في تحليلاته وتشخيصاته ورؤيته وذلك لانطلاقه من قاعدة فكرية صلبة تضمن له أنصع درجات الرصانة والاتزان الايديولوجي وهذا ما يحقق امكانية الخلاص من الجذور الانتهازية والاستعداد اللاموضوعي ..

ان المهمة الانية والحاسمة تتلخص في أن التثقيف يجب تطويره وتشجيعه كضرورة ملحة لا استغناء عنها وبذلك فعلى الكوادر المثقفة والمؤسسات الثقافية تقع أسمى الواجبات وأعقدها حتى يتوفر مجال ثقافي رحيب يتشرب به الجيل الجديد وحتى يمكن تمزيق روابط الجهل والغفلة والصمت ازاء الحقائق الاجتماعية والسياسية والكونية .. كما وان الفرد نفسه عندما يثقف نفسه باستمرار وجدية فانما يقطع على نفسه كل احتمالات الاستلقاء في حضن الانتهازية .. ان الثقافة الثورية هي الضوء الساطع الذى يكشف طريق الاختيار الثوري ويدحض كل التفكيرات الانتهازية وتبريراتها الغبية .. وفي محيط تتعاظم فيه الثقافة ، تتضاءل امكانية الانتهازي في العمل والتخريب لان هناك عيونا واعية ذكية ترصد التحرك الانتهازي وتفضحه وتعزله ..

ولكن هناك ظاهرة يجب عدم اغفالها .. وهذه الظاهرة هي خطر انتهازية

المثقف • ان من البديهي ان الانتهازي المثقف يستغل طاقاته الثقافية التي تكون أكثر مفعولا وضررا من تأثير الانتهازي غير المثقف •

ونحن هنا نكون أمام رأيين خاطئين : رأي يبالغ في تمجيد المثقفين واعتبارهم القوة الاساسية الرائدة في ميدان التغير • ورأي يقول بخطر المثقفين وانتهازيتهم • وفي الواقع ان الرأيين ينطلقان من فهم خاطىء يتصور (المثقفين) كطبقة ومن ثم يسيران في عاطفية لا تملك أي ارتكاز علمي • ان المثقفين وجود حيوي فعال بدونه يظل المجتمع أسير شريعة الغاب ، والمثقفون في كل عصر يحملون راية التبديل والاثارة • ولكنهم يرتبطون بذلك بالتقسيمات الطبقية وانتقالاتها السياسية • وعلى هذا الاساس يجب التمييز بين المثقف الرجعي والمثقف التقدمي • وبين المثقف البورجوازي والمثقف الاشتراكي فالثقافة ـ أية ثقافة ـ اما ان تسند سلطة أو تقف ضد سلطة (ولا نشمل بذلك الثقافة الانسانية العامة والتاريخية) • ولما كان لكل سلطة مضمون طبقي اذن فالمثقف ليس سائبا وكائنا ما كانت حريته لا يستطيع ابعاد نفسه عن الروابط الطبقية • ولما كان العصر الاشتراكي يقود الى رسم صورة جديدة للانسان فاننا نستطيع أن نجد بكثرة أنواعا من (العمال المثقفين) أو سواهم • ومعنى ذلك ان المثقف لا يمارس الاحتراف الثقافي بل انه اضافة لعمله الرئيسي يحتفظ باتجاهاته الثقافية المنظورة • وبالنتيجة يكون الرأي بأن انتهازية المثقفين مجرد رأي شاحب سريع التهافت • وحتى المثقف التقدمي الذي تكون قدرته على مواصلة النضال السياسي محدودة لا يمكن ان يوصم بأنه انتهازي على اعتبار أنه لا يستطيع أن يتجاوز امكانيته في الكفاح والتضحية • ان النظرة الوجيهة بدون شك هي في أن المثقفين قوة خلاقة مبدعة تؤدي واجباتها ولا يمكن أن توضع مقاييس ظالمة ومسبقة حولهم أبدا • ويظل مع ذلك واضحا من هو المثقف التقدمي ومن هو المثقف البورجوازي ومن هو المثقف الانتهازي !.

ثالثا ـ ان توفر شروط الثعبئة السياسية واقدام القوى التقدمية على تنظيم نفسها تنظيما سليما متطورا يتبلور من خلال عملية اصطفاء العنصر الواعي وغير المشكوك فيه وعملية الاختيار هذه هي عملية انتقائية تشذيبية هادفة تتوخى (الكيف)

قبل (الكم) •وفيما اذا اجريت هذه العملية باخلاص ومهارة فحينئذ يتقطع الطريق أمام تسلل الانتهازيين واندساسهم في التنظيم الاجتماعي للقوى الموجودة • والسر في الاهتمام باختيار النوعية الجيدة مبعثه حرص القوى السياسية على الحفاظ على تشكيلها الجسمي • فالانتهازيون يخلقون تمزقا في صفوف القوة المنظمة وتتعثر الصلات بين القيادة والقواعد وتتولد أساليب نفعية ووصولية تطمس المعالم المشرقة والفعالة عند المنظمة • ان الاحزاب الوطنية في العراق عانت من تسلل الانتهازيين الى داخلها مما أدى الى ارباكها في مجالات عديدة والى تسرب الكثير من أخبارها الخاصة من حيث أن الانتهازي يحمل اشارة الاستعداد للعمالة فلا مانع لديه من فضح (الاسرار) و (المقررات) ما دام يجني من بيعها منفعة معينة ، ولما كان التنظيم الذى يستوعب الانتهازيين بسرعة تنظيما مشلولا فهو اذن لا يستطيع أن يتبنى أهدافه الحقيقية ويذود عنها لانه مشبع بألغام الانتهازية للانفجار والتشتت من فترة لاخرى ولهذا فان القوى التقدمية كطلائع سياسية ثورية نشطة هي أول من يعتبر نفسه مسؤولا كليا عن كشف وتعرية الانتهازيين واخراجهم من نطاق العمل السياسي • كما وانها المعول عليها في رسم أفضل السبل لملاحقة الانتهازيين وحجب حرية التخريب السياسي والاجتماعي والاقتصادي عنهم • ومتى ما كانت التنظيمات السياسية متماسكة مرصوصة تضع الحواجز أمام التحرك الانتهازي بغيه شله وقطع دابره أصبح أمل الانتهازيين ضئيلا جدا في مد انشوطاتهم واختلاق حكاياتهم •

الأشتراكية العربية

الطريق العربي للاشتراكية

يتصدى الاستعمار لطموح الشعب العربي في تكوين مجتمعه الاشتراكي الموحد بوسائل عديدة تتباين فيما بينها لكنها تتفق في كونها طاقة تخريبية هائلة برعت القوى الرأسمالية في تنظيم ضخها وتصديرها .

ومن الطبيعي ان هذه الوسائل الهادفة اعاقة المسيرة الثورية للجماهير العربية ليست مقطوعة عن مجالات عملها الواقعي بل هي تنطلق من خلفية الوعي الخبيث الذي تمتاز به ، القوى المضادة في ادراكها لوتائر النضال العربي ولطبيعة وتركيب القوى الاجتماعية العربية . ومن هذه الامكانية في فهم تفاصيل الواقع العربي تستطيع القوى الامبريالية الولوج في عدة مواقع للعمل والتهديم المضاد .

والاستعمار الحديث بحد ذاته لا يعنى أكثر من مجموع الاساليب الحديثة التي يختطها الامبرياليون في تحقيق مصالحهم الاستراتيجية . وفي بلدان (العالم الثالث) أدرك المستعمرون عدم جدوى الاعتماد على القابليات الرجعية المحلية الشائخة والعتيقة جدا ، ولذا فقد ابتدعوا مفاهيم تتناسب مع المرحلة الزمنية وذات اطار تقدمي او اشتراكي زائف بغية التوصل الى انجاز استلاب المضمون التقدمي والاشتراكي من اي شعار وابقائه بصيغته الشكلية العديمة المحتوى .

وبالنسبة للمجتمع العربي تتوفر خصائص معينة تساعد في تشويه المفاهيم الاشتراكية واحلال مسمات جديدة تشترك في الاسماء اشتراكا ظاهريا يقود الى تحريفية كبيرة للمفاهيم العلمية . ومن ضمن هذه الخصائص .

اولا ـ ان المجتمع العربي لم يتحرر من علائقه البدائيـــة في كثـير من الاجزاء ، أي أنه لم تتوفر فيه القاعدة الصناعية الكبيرة وملحقاتهـــا من دلالات التطور الاداري والتكنولوجي فعلائق الانتاج الريفيـة والتشبه اقطاعيـــة تعطى صورة قديمة لا يزال وجودها سبب تخلف كبير ونقص في وعي الايديولوجيـة الثورية • فالايديولوجيا الثورية شأنها شأن أية مسألة علمية انما ترتبط بالتطور البشري في مراحله المتعاقبة • فكما ان من المستحيل صدور (النظرية النسبية) لـ (انشتاين) قبل عصرها أو في (العصر الوسيط) مثلا ، كذا فان الايديولوجيا الثورية المتأكدة المنتقاة لا تتهيأ بشكل جماعي منظم وبـــارز الا بعـد تجـــاوز عدة خطوات كبيرة فيطريق المسيرة البورجوازية• وهذا لا يعني أنالايديولوجيا الثورية غير ممكنة الوجود في مجمع العلائق الاقطاعية أو شبه الاقطاعية • بل ان المعنى في ذلك هـــو أن التطور التكنيكى المرتبط بالحـركة البورجوازية يعطى الايديولوجيا الثورية وجودها الاكثر تناسقا وفنية وفـاعلية • وبالنســـبة للاداة الثورية البشرية لا يمكن توفرها فى المجتمعات المتخلفة اجتماعيا بالنحو الـــذى تكون عليه فى المجتمع المتطور اقتصاديا •

ثانيا ـ ان التخلف الاقتصادى هو حقيقة قـــائمة عن طبيعة المرحـلة التى تحياها الامة العربية • وهذا التخلف هو بالاصل السبب الذى منع وجود طبقـة عاملة كبيرة تحقق على عاتقها قيادة الثورة • ان الوجود العمـالى العربي يختلف كثيرا عن الوجود العمالى فى أوربا مثلا حيث انه أقل منه عددا وتنظيما وكفاءة • ولما كانت الطبقة العاملة هى الطبقة الوحيدة المؤهلة لقيادة المجتمع الاشراكى أو عمليات النضال الاشتراكى ، لانها الطبقة الوحيدة التى بتحريرها نفسها انمـــا تحرر كل المظلومين ، والتى لا تضطهد طبقة اخرى عند تخليصها نفسها مـــن الاضطهاد ، فبالنتيجة حصل على الصعيد السياسى غياب الطبقة العاملة ـ جزئيـــا وليس كليا ـ عن أدائها دورها التاريخى • وهذا الغياب فسح المجال ، أمام قيادة البورجوازية الوسطى أو اصغيرة مما كان يحمل فى واقع وجوده نوايا تحريفية كثيرة تطمس الى حد بعيد المعانى الثورية للايدلوجيا الاشتراكية •

ثالثا ـ ان بلدان العالم الثالث والدول التى تنتهج طريق التطور (اللارأسمالى)

تقف على مسافة بعيدة نسبيا عن التطور الحضاري ـ الاشتراكي أو الرأسمالي ـ وهذه المسافة عن البعد الحضاري وتحت وطأة الزمن الواحد تدفع تلك الدول الى تدارك ذلك بمفاهيم عديدة وسريعة وتجريبية • وهذه التجريبية تؤدي في أحيان عديدة الى احتضان الانغلاقات (الوطنية أو القومية) مع طابع الريبة والحذر المتشكك ، هذا الطابع المنعكس على السلوك السياسي • وذلك ـ بصورة مباشرة أو غير مباشرة ـ يحرم تلك الدول من تجارب ثورية كبيرة زاخرة بالفوائد • ولهذا فان العديد من الحركات السياسية في دول العالم الثالث ، وتحت استحواذ النزعة التجريبية المعتمدة على انتظار النتائج ـ من خطأ أو صواب ـ معرضة الى الوقوع في دورات معادة أو ساكنة لا تعني بأي حال من الاحوال غير انها مساهمة في تعطيل حركة التاريخ • وان تلك الدورات المعطلة تفرز أفكارا ومفاهيم عديدة معزولة عن الحقائق الاشتراكية التي تأكدت عالميا في النضال البشري الفائز ، على أن الاشتراكية ليست مجموعة اجتهادات أو اختراعات منطقية لزعيم أو قائد أو مسؤول بل هي حصيلة نضالية تعينت بتجارب بشرية كفاحية موجودة في دول عديدة •

ان وجود سمات خاصة في كل المجتمعات لا يعني رفع ملاحظة هذه السمات الى مستوى التخلي عن الايديولوجيا الثورية في جوهرها الواضح ، بل ان الفوارق نفسها تعكس وبالضرورة نفسها على القوى السياسية وخط سيرها مما يتطلب تنويع الوسائل في حين تتحدد الغاية •

رابعا ـ ان التاريخ العربي ولد صفات موضوعية التفكير الحديث اكدت نزوعه العام الى (المثالية) و (الاطلاقية) نتيجة للتربية الهائلة التي انتشرت بعد تحطيم (الجاهلية) على يد الاسلام • ومن خلال هذا النزوع العام اضحت العقلية العربية ميالة للتجريد واطلاق (التعميمات) مما أوقع القوى السياسية المختلفة في صراعات حدية اقتضتها تباينات في طريقة التفكير دون مبررات تاريخية أو عملية • ومن هنا فان تنامي الفكر الاشتراكي خلق منذ البداية تعدد المدارس (في الادب والفكر الاشتراكي) دون وجود تجارب سياسية عريقة متجذرة في النضال الاشتراكي وهذا التعدد ـ غير المبرر والزائد ـ اكتسب عن طريق صبغة

العقلية العربية ، المثالية والاخلاقية والحادة ، دوافع الاجهاض الذاتي اكثر من احتمالات النمو .

خامسا ـ أن قوة الرجعية العربية المتحصنة بماض تاريخي محلى أو بسيادات في العلاقات الاجتماعية ، فرضت بما تمتلكه من قدرات قيودا شديدة على الفكر التقدمي ، وهي بتحالفها العميل مع الاستعمار شنت حملة صليبية ضد تقدمية الفكر والنهضة العربية . وامتلاء الاذهان ـ لا سيما في القرى العربية ـ بالمسائل الخرافية السوداء وبالاعتقادات البالية يوضح خطر الرجعية الفكري في سعيها لعدم اشاعة الثقافة . وهذا نفسه يجعل الثقافة الاشتراكية مقتصرة على مجموعات مثقفة معينة . ان الثقافة الاشتراكية ليست ثقافة الصفوة المختارة او القلة ، واذا كانت هكذا فهذا ينبيء عن حالة غير صحيحة . انها ـ اي الثقافة الاشتراكية ـ تكتسب سماتها العامة عن طريق كونها اداة بيد الجماهير من أجل فهم وتغيير وضعها . اما اذا ظلت في رؤوس معدودة فهذا يعطي للرجعية فرصه خنق الثقافة بقطع أو بحجز هذه الرؤوس ، في حين ان أنتشار الفكر الاشتراكي على النطق الشعبي يقطع تلك الفرصة امام الرجعية ويجعلها هي المحاصرة بهذا المد .

الاشتراكية والتحريف

ان الاستعماريين والقوى المضادة ليسوا غشماء الى الحد الذي يقفون فيه امام الجماهير العربية في ثورتها متسلحين بأسلحة قديمة تجهر بعدائها الصريح للاشتراكية والمفاهيم التقدمية ، بل هم يغيرون اسلحتهم بين حين وآخر ليظهروا امام العالم بوجوه جديدة مقنعة . وهذا التغير المقصود في وسائل المحاربة ليس جديدا بل هو قديم انبثق بعد تنامي المعسكر الاشتراكي والحركات التحررية ، في أقذر عملية عداء للانسانية وتطلعاتها الكبرى .

وبالنسبة للوطن العربي شاهد أيضا العديد من الانماط التحريفية ، تلك الانماط المصدرة من قبل الامبرياليين وقواهم الطابورية للتأثير على الفعالية الثورية التي تدربت عليها الجماهير العربية في معرض الدفاع عن وجودنا

وإدارتها ، وكما قلنا قبل حين فان هذه الانماط التحريفية تجد لها مجالا مناسبا للتحرك والعمل في البيئة العربية بمقتضى المميزات الخاصة التي تتصف بها . وقد اجمعت هذه الانماط على مقولات متهافتة لم تستطع رفع اكثر منها . فهي تؤكد مثلا على ان العامل الاقتصادي ليس عاملا جوهريا بل ان ثمة عوامل تلعب دورها الرئيسي حيث يظل العامل الاقتصادي ثانويا . وهي بذلك تتحدث عن (الجنس) أو (الروح) أو (الذات) .. الخ على أساس أنها هي المحركات الاولى للوجود البشري ، وابعاد (الاقتصاد) بهذا الشكل الفض ما هو الا محاولة لتخليد الاستغلال واضفاء الصفة المتأبدة للتملك الفردي المستغل ـ بكسر الغين ـ ..

أو أنها ترفع دعاوى خرقاء مفادها ان وحدة الشعب هي وحدة عماله وبرجوازيه وفلاحيه واقطاعيه ، وان النضال الطبقي ليس له مبرر تاريخي واقعي ، وهي ـ اي الانماط التحريفية ـ لا تتحرج في الاعلان عن ان الانسان هو ـ هو الملكية الفردية ـ وان أي طموح لمجتمع اشتراكي تسود فيه الملكية العامة لوسائل الانتاج هو طموح محرم وغير واقعي !

ويظل المهم بالنسبة للمحرفين العمل على تهديم المقولات الثورية وتشويش المفاهيم التقدمية من خلال ادعاءات تهريجية تتزيا بالاشتراكية ..

واضافة الى هذا التفسيخ المتعمد للمسائل النظرية الهامة فانهم يلجأون الى ضرب (الاصلاح الزراعي) بأسم الاصلاح الزراعي وقص أحسن ما فيه كما يحلو لهم حتى يظل عديم المحتوى ، مع ما يعملونه ضمن خطط مدروسة لتخطيم الاقتصاد الوطني وتثبيت تبعيته للرأسمال الغربي ، وهم عمليا لا يتورعون عن زج الاشتراكيين الحقيقيين في السجون والمعتقلات مفلسفين ـ الحرية الدستورية ـ عندهم بهذه الصورة . ويكاد يكون الطابع العام لتفكيرهم وعملهم هو الطابع (الاصلاحي) والسطحي المتفق حتى تظل اكثر خطواتهم (ثورية وجرأة) مجرد حركة بائسة في القشرة الخارجي حذرا من المس بجوهر المجتمع البورجوازي ..

ان (الاشتراكية الرشيدة) لم تكن اشتراكية كما اراد لها اصحابها بل هي ترقيع مهلهل من حكايات عادية تستمد جذورها الرجعية من طبيعة دعاتها الطبقية البورجوازية الرجعية . وتسميتها بالرشيدة تجعل الجماهير تتساءل هل هناك اذن اشتراكية غير رشيدة ؟.. ولكن الجماهير تدرك تماما ان تأطير الاشتراكية ـ الاسمية فقط ـ بأطار التعقل والرشد انما لا يعنى غير العودة الى الاخلاق الرجعية ، فمن باب الرزانة والرشد عدم التعرض بالاقطاعيين والبورجوازيين الكبار والشبكات الجاسوسية ، وما دام الامر هكذا فعلام اذن تم استعمال كلمة (الاشتراكية) التي جاء وجودها التاريخي من مكانة الالغاء للوجود الرأسمالى والاستغلال .. واما كان حريا بأسياد (الاشتراكية الرشيدة) ان يحافظوا على أسماء هامة وغير محددة مثل (الخير ، العدالة ، الرفق .. الخ) بدل اللجوء الى التسمية الاشتراكية ، ولكن جواب هذا الموضوع واضح جدا بعد ان أصبح الالتزام بشعار الاشتراكية هو مقياس عصرية الشخص وبعد أن أصبح الشعار الاشتراكي أيضا اداة ثورية محركة تستعملها الجماهير في التوصل الى غاياتها النبيلة .

اما (الاشتراكية الدستورية) فيستطيع اي انسان ان يعرف موضوعاتها في القطر العربي (تونس) وهاتان الاشتراكيتان (الرشيدة والدستورية) في الحديث عن جذرهما التاريخي انما ممتدا من الاحزاب العميلة على المكشوف والتي رفعت شعار الاشتراكية زورا ، مثل (حزب الامة الاشتراكي) الذائع (الاشتراكية) ! أو سواه . ان هذا الفكر المضاد بمجموعه انما يسعى لانتزاع المضامين الحقيقية بابدالها بكلمات مجردة . ولكن هل يتوصل هذا الفكر الى انجاز مهمته هذه ؟ في الواقع ان الواقع العربي قد خبر مثل هذا الفكر وأكد فشله ، وعلى الصعيد العربي للثورة تولدت عند الجماهير العربية رؤية كاشفة تستطيع فضح وضرب كل الانواع الفكرية المدسوسة . وان الشعارات التوفيقية والاصلاحية التي تتكدس وراء الاعتقاد بأيقاف التناقضات الطبقية او وراء التشكيك بقدرة الشغيلة على قيادة الثورة الاشتراكية أو أمكانية تفادى الصراع مع الامبريالية والصهيونية ، أو غير ذلك ، كلها شعارات أدركت الجماهير

العربية لا علميتها بعد احساسها بأن الحل الوحيد لاعلان هويتها الحضارية المعاصرة انما يتمثل بالتغير الثوري الجذري لا بأنصاف الحلول .

اشتراكية عربية .. أم طريق عربي للاشتراكية

في بداية التلمس الحضاري لنظام جديد تكثر الخلافات النظرية . ويتدخل المنطق السياسي بشكل صاخب لتحديد مواصفات أو مقولات مفترضة او تقديرية . ولكن بمرور الزمن وحيث تتطور التجربة الثورية يكون العمل هو المقياس الوحيد والقول الفاصل الذي يحدد الاشياء وبذلك يخفت الضجيج المنطقي الاكبر من حجم الاحداث . وفي نزوع الجماهير العربية الى قيام مجتمع عربي اشتراكي موحد لا يمكن من خلال هذا النزوع التوصل الى منطق محدد بل ان هذا النزوع يكفل وجود تيارات ومدارس عديدة تتباين في طريقة تفكيرها ومنطلقاتها . ونظرة بسيطة الى واقع العرب السياسي ترينا ان الخلافات السياسية السابقة بين مجاميع القوى العربية المعادية للاستعمار هي خلافات أخذت بالتقلص ، بل وصل التقلص الى طريق اخر عند قوى سياسية معينة حيث حلت صيغة جديدة للتعاون بينها بينما كانت تتراشق فيما بينها بالعداء .

والسؤال : ما سبب تلك الظاهرة ؟ يجد جوابه في البديهية المذكورة اعلاه حيث ان العمل الثوري الحقيقي ضامن لفرز الاشياء وتحديد الخلافات الاساسية أو الجزئية ، اي أنه بمعنى آخر يكفل تحديد المفاهيم لا بالشكل السكولائي بل بالشكل العملي الذي تدل عليه التجربة الواقعية . والحديث عن (اشتراكية عربية) أو (طريق عربي للاشتراكية) هو وبالاساس ينبعث من ضرورات بداية التحرك الثوري للجماهير ، وهو في نفس الوقت دليل على عدم تركيز المفاهيم بأصالة ، وضرورات الغد التي تتمثل بحتمية قيام المجتمع العربي الاشتراكي الموحد تنقل المفاهيم الى موضعها الحقيقي المتكافىء مع الوقائع ، وبذا فان هذه الضرورات المستقبلية تزيل الالتباسات المفهومية لتثبت الحقيقي فقط وغير الملتبس . ولكن هذا لا يعني بالتالي اننا نتوقف عن مناقشة هذه الموضوعية لحين الغد ، لان تأجيلا كهذا لا وجود له في الحركة التاريخية والانسانية . ولذلك فنحن مسؤولون بل ومطالبون كل حين بتحديد مفاهيمنا لان هذا التحديد

هو دليل الوعي الحقيقي ، وهذا الوعي هو قدرة العمل الفاعل وبالبـــدء عندما تحدث البعض عن اشتراكية عربية لابد ان نتوقع قياسا مع اعتقادهـــم وجـود اشتراكيات أخرى كاشتراكية انكليزية أو اشتراكية فرنسية أو اشتراكية ايطالية أو اشتراكية هندية .. الـخ . واذا صـــح هذا التوقـــع فمعنى ذلك ان لكل اشتراكية من هذه الاشتراكيات خصائص جوهرية مميزة ، اي أنها لا تلتقي الا في السمات القانونية في حين تتفارق في البنود الاساسية . فيضحى لكل اشتراكية (وطنية أو قومية) قوانين خاصة تشكل معالم هذه أو تلك الاشتراكية .

ولابد لنا من فهم صحة أو خطأ هذا التوقع عن طريق الاختبار الواقعي ، فهل هناك مثل هذا التعدد في الاشتراكيات ذات القوانين الخاصة ؟ ولـــذا فمن المتوجب فهم المعنى الحقيقي للاشتراكية على ضوء الدراسات التاريخية واستقراء التجارب الاشتراكية نفسها . ان الاشتراكية برزت للوجود تاريخيـــا كمناقض ينفي الوجود الرأسمالي ويتصاعد فوقه . ومن هنا فهي تبتدي أول خطواتهـا في وعي القوانين الرأسمالية وعيا حقيقيا علميا لتستخلص قانون الرأسمالية الهـام ، قانون موتها الذي يسري مع حركتها ، ومن ثم فهي تأخذ على عاتقها حفـر قبر الرأسمالية ودثرها نهائيا .

والاشتراكية كمرحلة مغايرة لما قبلها لها خصائص موحـدة وموضوعيـــة تشكل العمود الفقري للنظام الاجتماعي الجديد وهذه الخصائص ليست علامات خيالية او افتراضية بل هي مقومات هامة تتعزز حولها كل العلاقات الاخـرى . وهذه المقومات المفهومة التي تتحدد بها الاشتراكية لا تنقطع عن الحركة التطورية السابقة ، فكما ان الرأسمالية تتقوم بقانون (الربح) أو (فائض القيمة) مثلا ، وكما ان الاقطاع يرتكز على (السخرة) و(الاتاوة) فكذلك الاشتراكية تتقوم على قوانينها الخاصة التي هي علة التسمية نفسها (أي التسمية الاشتراكيـة) . فالاشتراكية هي بالدرجة الاولى رفض للملكية الفردية لوسائل الانتاج ودعـوة قطعية للملكية العامة للوسائل الانتاجية ، ولا يوجد خلاف في هذه النقطة ولكن يحتمل ان تكون المسألة الخلافية والثانوية في ان هذا التملك العام قد يتم دفعـة

واحدة أو تدريجيا • وهذا التملك العام لا يتم الا عن طريق القوى الاجتماعية ـ العمال والفلاحون وحلفاؤهما ـ صاحبة المصلحة الاولى في الاشتراكية والتي بتحررها من ربقة الاستغلال انما تحرر البشرية من ربقة العبودية بأشكالها • والقوى الاجتماعية الكادحة في ممارستها دورها الذاتي الذى تضطلع به تختار اداتها السياسية الثورية لضمان تطوير وضعها الاقتصادي ـ بالبرمجة والتخطيط ـ ولاقامة مجتمع متحرر اشتراكي يعتمد الديمقراطية والمبادرة والخلق كتعبير عن حرية العمل الانساني الهادف في اطار من التساوى بين افراد المجتمع رجالا ونساء •

ان هذه الاشياء المذكورة ليست كل ما يمكن التحدث به عن النظام الاشتراكي ، ولكنها تحافظ على كونها الامور الاساسية هذه الامور غير المقصورة بل المستنتجة من خلاصة التجارب اواقعية والنظرية في هذا الميدان ، وأكدتها حركة التطور التاريخي والانتفاضات العلمية الكبيرة مكتسبة بحق صفة العلمية في كونها حافزا هائلا لانتقال الانسان من وضع التسيطر البشري ـ جماعة تسيطر على جماعة ـ الى وضع السيطرة لادارة الاشياء •

والاشتراكية العلمية بحد ذاتها لم تكن مجموعة نظريات ومقولات معينة تجمدت في الكتب بل هي صورة التطور الحتمي للبشرية ، هذه الصورة التي رسمها ارواد الاشتراكيون العلميون الاوائل وأكدتها التجارب البشرية الكبرى في أنتصار الاشتراكية العلمية وتعاظم هذا الانتصار لحد يهدد الرأسمالية واحتكاراتها بالخطر الذي ينذر بالموت الحتمي لها •

وفي الحقل النظري لم تكن الاشتراكية العلمية وحيدة في الميدان فقد ظهرت تيارات اشتراكية متعددة • فهنالك (الاشتراكية الخيالية) المنبعثة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر والتي كانت تمردا على الاوضاع البشركة غير العادلة ، ولكن هذا التمرد كان سلبيا لانه لم يتوصل الى فهم موضوعي لقوانين تطور المجتمع وحركة الاشياء • وتجد هذه الاشتراكية أصولها في افكار (سان سيمون) و (شارل فوريه) و (بوشيه) و (روبرت أوين) و (كابيه) و (لويس بلات) •• الخ • وعمليا كانت التجارب الجزئية والمحدودة

لبعض هؤلاء الرواد وقتية سرعان ما تهاوت امام قوة قانون الاشياء . ولعل تجربة (روبرت أوين) التي أقدم عليها في ولاية (انديانا) في امريكا بأنشاء مجتمعات جديدة تحت اسم (النيوهارموني) عام ١٨٧٠ كانت واحدة من الدلائل على افلاس وفشل هذه التجارب الحلمية .

كما وانه ظهرت حركات اشتراكية اصلاحية تعتقد امكانية التغير عن طريق الحل السلمي أو البرلماني ومن خلال اجهزة السلطة الرأسمالية وبواسطة المساومات المختلفة . وبمرور الزمن برزت اتجاهات أخرى عديدة مثل الاشتراكية الوفاقية لـ (جان جوريس) (١٨٥٩ - ١٩١٤) واشتراكية (ليون بلوم) الانسانية ، والاشتراكية السيكولوجية والتعليمية لـ (هنري دي مان) (١٨٨٦ - ١٩٥٢) والاشتراكية الشخصانية أو اشتراكية الوفرة .. الخ .

أي أننا بدراسة بسيطة نستطيع ان ندرك كم من الاتجاهات الاشتراكية قد ظهرت طيلة قرنين ، ولكننا وبدراسة أبسط نستطيع ان نفهم كم ظل من هذه الاحصائية بالاتجاهات الاشتراكية قائما وموجودا . ان الواقع البشري أوضح بما لا يدع مجالا للمحاججة أية اشتراكية تلك التي صمدت وتوسعت رقعة وجودها تطبيقيا وكيف أضحت الاتجاهات الاخرى - اللاعلمية - مجرد شخصيات محدودة وافكار مطروحة لم تنجح في ان تترجم نفسها الى وجود عملي ثابت .

وامام هذه الحقيقة ، حقيقة انتصاب الاشتراكية العلمية لا كقوانين لاهوتية ثابتة وانما كأستيعاب تقدمي للحاجات البشرية بتكافوء حر ، لم تعد هنالك اشتراكيات متعددة ، بل هناك اشتراكية واحدة لا تتسلح بغير العلم في ضمان ديمومتها . واذا برزت ثمة اتجاهات جديدة (اشتراكية كذا .. الخ) تفترض لنفسها حق الاكتشاف الجديد ووهم الريادة العبقرية في الاختراع الذي لا يستفيد من السوابق أو اللواحق ، فهي - اي هذه الاتجاهات - مع كل وهمها تبقى غير عبقرية وغير جديدة لانها أيضا امتداد للسابقة التاريخية ، سابقة (الاشتراكيات الخيالية والاصلاحية .. الخ) . وبالتالي لن يكون مصيرها بأفضل من مصير تلك .

من كل هذا نستطيع ان نستنتج : (أولا) أنه ليست هناك (اشتراكية هندية أو اشتراكية عربية .. الخ) والا فأن كل اشتراكية من هذه الاشتراكيات (الكثيرة حتما لان كل أقلية أو مجموعة قد تطمح لاشتراكية خاصة بأسمها) مطالبة بتحديد قوانينها الجوهرية الخاصة جدا والمفردة التي لا شبيه لها . وأمر كهذا غير موجود .

(ثانيا) : ولكن هذه الموضوعة الاولى لا تنفي الكيفية التي تتوصل بها أمة معينة الى الاشتراكية . فالوصول الى الاشتراكية لا يتم بطريقة واحدة والا لكان ذلك مدعاة لكارثة كبرى ودليل ضيق أفق خطير . اذ من المحتم ان لكل بلد ظروفه الخاصة ومميزاته ، وهذه المميزات تشترط ان يختار وسائله الكفيلة بتحقيق الاشتراكية . ومهما تكن هذه الوسائل (سلمية أو عنفية .. الخ) . فهي طبيعية ولا تخضع للتمذهب السفسطائي ما دامت اختيارا ضروريا تحتمه وضعية البلد نفسها .

(ثالثا) ان من اكثر الاعاقات خطرا ضد مسار الثورة العربية الاتجاه الذي يبتغي التوصل الى الاشتراكية بأستنساخ تجارب اشتراكية عالمية معينة وفقا لنصوص ايديولوجية منقولة، مع القفز على كل الصفات التي تسم المجتمع العربي وتميزه ، دون أي وعي لها وتفاعل معها . والمسار الثوري التقدمي الذي تتحرك فيه الجماهير العربية بقيادة طلائعها السياسية انما ينضج بالتلاحم بين النظرية والممارسة ، وبين التجارب الاشتراكية العديدة وبين الواقع العربي . ان النظرية الثورية لا تذوب ولا تتخلف بل تتخذ دورها كمرشد في العمل ، ولكنها أيضا لا تتعسف على الواقع بعدم الاحاطة به وفهمه ، بل أنها تعمل ضمن هذا الفهم وضمن قدرة ذلك الواقع .

(رابعا) ان (الاشتراكية الوطنية أو القومية أو المحلية) فيما اذا قدر لها ان تتسع كوجود سياسي (وهي ليست اشتراكية حقيقية بالضرورة) أنما تفجر بعدا شوفينيا . وتاريخيا أكدت التجارب ان (النازية) التي جرت على العالم مأسى فظيعة ما هي في ادعائها الا (الاشتراكية الوطنية) . وكذلك الفاشستية الايطالية كمنطق الـ (الاشتراكية القومية) وبالنسبة للمجاميع البشرية الطائفية

ـ التي لم تتوصل الى أي مرتبة قومية كاليهود مثـــلا ـ فهي اعطت نموذجهـــا الاشتراكي في (الصهيونية !) .

ما هي المستلزمات التي تنضج الطريق العربي الخاص للاشتراكية

ان الطريق العربي للاشتراكية ليس طريقا ممهدا . وهو ايضـا يختلف عن التسلك الذي يقدم عليه بلد غير عربي في تحركه نحو الاشتراكية وذلـك لكون العالم العربي يزخر بتناقضات عديدة هي حصيلـة الحركة الاجتماعيـــة والنضال المتفاوت ضد الاستعمار وبروز عدة اشكال سياسية . ولذا فقد فهم هذه **التناقضات وظروف المجتمع العربي هو الذي يقدر الطريق العربي التطـوري** ، في حين يكون رسم طريق عربي كأسلوب ثابت محدد من اعلى او بتعيين منهجي دوغمائي هو اشتطاط ضار . ان اوضاع المجتمع العربي بكامـــل تناقضاتهـــا واحتدامها هي وحدها وعن طريق الممارسة الثورية المتزاوجة مع النظر العلمي تمتلك تخطيط الوسائل التجربية الثورية .

ومن المستلزمات التي تخلق الاسلوب العربي المهيء للانتقـــال الاشتراكي ما يلي :

أولا ـ أن الكيان العربي هو وحدة قومية متكاملة وان التجزئة الكيانيـــة والتفكك الذي عاث في جسد المجتمع العربي من صنع الاستعمار الكولونيـالي . وان التجزئة السابقة لهذا الاستعمار هي التجزئة التي ترتبط بالانتـــاج البدائي والتي تفترض البعثرة الكبيرة المتعلقة بصغر وبدائية الانتاجيـــة . وبدلا من ان يكون التطور التاريخي انضاجا للصيرورة القومية ـ على اساس ان نشوء الانتاج المتطور والمتسع يكفل الغاء البعثرة الطائفية والمحلية المتعددة تدخل الاستعمـــار كقوة احتلال وسيطرة مفروضة من الخارج ، وعمق هذه التجزئة بشكل اكثر نظامية ، اي انه حول البعثرة والتمزق الى صورة جديدة من التجزوء القطرى او سواه .

ثانيا ـ ان الرجعية العربية في كل قطر امتصت دم وجودها من الاقطـاع . ولهذا فهي رجعية اقطاعية مهما حاولت تطوير نفسها . وهذه الرجعية الاقطاعية

الحاكمة في عدة اقطار لتوهم – وتصر على اكراه الجماهير والتاريخ في مشاركتها الوهم – ان (الارض) هي ارض اهلها الاوائل حيث يتم اختلاف رابطة بين اديم الارض ودم الجدود والاباء ومن ذلك ينبعث احساس مخيف في فرض استمرارية السيطرة الاقطاعية الحاكمة على البلد وكأنه (اقطاعتها) . ولهذا فان الرجعية المتجذرة اقطاعيا يهمها تثبيت التجزئة دون اي ميل للتوحد مع الرجعية الاقطاعية في قطر عربي آخر ، بل وحتى انها – اي الرجعية الحاكمة في قطر عربي معين – تنقسم في منافسة ضارية (عائلية اصلا) حتى يفوز الاكثر قوة ودعما ، والخلافات في (المملكة العربية السعودية) خير دليل على ذلك فلو ان المنافسة لم تنته بسيطرة شيخ معين لتحولت السعودية الى مشايخ مبعثرة تكرس التجزئة (تجزئة الجزء العربي) عاكسة للتوازن العائلي . ان تدخل الاستعمار الكولونيالي هو الذي أوجد صيغة أخرى للتجزئة ، فالاقطاع ينشد تجزئة اكثر من التجزء القطري واكثر من تعدد الامارات والمشايخ فيما اذا ظل الامر بيده . ولكن الاستعمار فرض حلوله من الخارج ونفذها على ضوء اعتماده على مجموعة الرجعيين الاقطاعيين من ركائزه النافعة . والمقصود من ذلك الى ان هناك في الواقع العربي جذورا لردة ضد التجزئة القائمة بتجزئة أخرى أكثر بشاعة .

ثالثا – ان البورجوازية العربية خانت قضية الوحدة العربية . ولذلك فهي سياسيا واقتصاديا كانت تؤمن على التجزئة القائمة . وهي في تحالفها – المباشر أو غير المباشر – مع الاستعمار كانت تفلسف الوحدة التي تعنيها ، أي الوحدة الجزئية المكرسة للتجزء أيضا ، وذلك يتبين من المشاريع الاستعمارية (الهلال الخصيب ، سوريا الكبرى ..)

رابعا – ان السمة العصرية لهذا العالم هي الاشتراكية . وان النضال العربي الاشتراكي هو توطيده لهذه السمة ، والكيان العربي – بوضعه المنفصل – لا يتهيأ له تحقيق الاشتراكية . لان القطر العربي الواحد لا تتوفر له القاعدة المادية العريضة للبناء الاشتراكي وذلك لانه لا تتوفر فيه الامكانات المادية التي تبنى منها الاشتراكية . بينما تهيء الوحدة العربية هذه الامكانات المادية وذلك لان ما

ينقص قطرا عربيا من مواد خام او ظروف أخرى انما يجد سده في قطر عربي آخر . فالقطر الذي ينقصه البترول مثلا لا يقع في مضايقة اقتصادية ما دام توفر البترول في اقطار شقيقة مستكملا لهذا النقص . فالوحدة العربية هي الجواب العملي ـ اضافة الى أنها الجواب الطبيعي والحتمي ـ ضد العوائق الاقتصادية التي تعرقل البناء الاشتراكي ، لان المجتمع العربي هو مجتمع كبير متمكن على الاكتفاء الذاتي ـ بقدر ما ـ يمتلك من ثروات كثيرة (بترول ، قطن ، فوسفات ، معادن عديدة) وقابليات بشرية ضخمة وارض واسعة .

خامسا ـ ان المجتمع العربي في بعض اقطاره ذات النظم التقدمية استطاع ان يبتدىء بانشاء اساسات أولى كمدخل للاشتراكية ، وهو يمتلك أمكانية تطوير تلك الاساسات وانجاز الشروط المادية للتأسيس الاشتراكي ، على اعتبار ان هذه الشروط المادية هي القوة الحتمية التي يتطور منها النظام . ولكن الظاهرة العربية الخطيرة هي ان مجموع القوى الفوقية (فكرية ، اخلاقية ، عادات .. الخ) ـ والتي يشترط فيها تبعيتها للاساس المادي ـ مسخت مسخا رجعيا واسعا ومنذ مراحل زمنية قديمة الى درجة إنها لا تمنح نفسها لريح التغيير الثوري بالسهولة المتصورة . ان النضال الاشتراكي العربي قادر على تغيير الاسس المادية وتشريكها بسهولة اكثر من قدرته على خلق بناء فوقي اشتراكي منسجم . ان قوة العادات والافكار المتوارثة كبيرة جدا الى الحد الذي نجد فيه (التقدمي العربي) في اغلب الاحيان يحمل ازدواجية غريبة ، اي انه مع كل تقدميته هذه التقدمية التي لم يكن الحفاظ عليها هينا بل متأكدا من خلال ملاحقات ومضايقات معادية شديدة ـ لا يزال يحمل الطابع الموروث القديم بصورة أو بأخرى . ومن هذا الفهم تتصاعد مهمة التحرير الثقافي للانسان العربي بالحاح متزايد حتى تقل الهوة بين (البناء التحتي الاشتراكي) المحتمل بجوهره وبين البناء الفوقي اللاحق مبدأيا والعائق الخطير واقعيا .

سادسا ـ ان الاجهزة الوظيفية في الاقطار العربية على الاغلب اجهزة تقليدية ضامرة وحتى في الاقطار التقدمية منها يظهر جليا ان التغيير في الجهاز الوظيفي لم يكن جذريا اي ان الثورة لم تتدخل هذا الجهاز الا بشكل محدود

وتجريبي وعلى مراحل بطيئة . لذلك فأي احتمال بقيام ثورة اشتراكية مع بقاء مثل هذه الاجهزة الادارية التقليدية هو احتمال غير مبني على اي حقائق معقولة .

سابعا ـ ان طبيعة المجتمع العربي الجغرافية ، وكون المنطقة العربية تستقطب العديد من الخصائص القارية الاسيوية ـ الافريقية ، يعطي للانتقال العربي للاشتراكية ميزة خاصة تصلح ان تكون تجربة ذات بعد حاسم في قضايا العالم الثالث وانتفاضاته .

تطور مفهوم الوحدة الى المضمون الاشتراكي

ان قضية الوحدة العربية من اعرق القضايا التي تهم المواطن العربي . وقد تناول موضوعها العديد من المفكرين والكتاب على أعتبار أنها ليست قضية عادية بل هي القضية التي تفرض وجودها في المدى القصير والمدى الطويل .

وبخصوص الوحدة لا مناص من ابداء الرأي اسهاما في معالجة الموضوع معالجة حوارية غير مقتصرة على اطراف معينة من حيث انها ـ أي الوحدة ـ ليست قضية طرف أو عدة أطراف بل هي قضية الجماهير العربية كلها . ومن هذا المنطلق أحب التركيز على عدة ملاحظات ووجهات نظر لا تعد بالاساس جديدة بل هي مطروقة بشكل او بأخر في عدة مجالات ولذا فهي أقرب الى كونها استخلاصية ، ومع ذلك فهي لا تحظى باتفاق سهل ان لم تكن مدعاة لعدة اختلافات .

أولا ـ أن الوحدة بصورة عامة وبشكل مجرد هي عمل تقدمي حتى ولو كانت بقيادة البرجوازية ـ ابان نشأة البرجوازية المتعاظمة ـ وذلك الرأي ليس مرغوبا في بحثه لكون البشرية اجتازت الان مراحل القيادات البورجوازية في مواقع عديدة من العالم ، ولكنه له تفسيره التاريخي في القرن التاسع عشر مثلا . ويتضح لنا مصداق التفسير من قول (ماركس) حول تأييد الوحدة الالمانية : (ان بسمارك يقوم بجزء من عملنا) ـ وهذا ما حاول (باكونين) وبعض (البروودونيين) الاستفادة منه لاتهام ماركس كعميل لبسمارك ـ وحينذاك لم تكن الوحدة تحت الاشراف البورجوازي مجرد مركزة للقوى البورجوازية

المتحدة بل هى ايضا من الطرف الاخر تجميع كبير لصفوف الكادحين وكل المضطهدين ـ بفتح الهاء ـ .

ثانيا ـ ان الملاحظة الاولى هي واقع تاريخي سابق لا يصح تعميمه نظريا على واقع جديد مغاير وعصري ، لان البورجوازية فارسة الميدان في القرن التسع عشر في حين ان القوى الجماهيرية الكادحة هي فارسة الميدان في القرن العشرين والقرن الحادى والعشرين ـ قرون ميلاد الانسان الاشتراكى ـ ومن ذلك نستنبط عدم جواز فرض الحوادث والوقائع القائمة سابقا والمفسرة علميا كخبر وكايديولوجيا على هذا العصر .

ثالثا ـ ان الوحدة العربية هى ضرورة ذاتية يحتمها قانون الوجود العربى نفسه . فالكيان العربى هو كيان قومى يمتلك اساسه منذ ازمان موغلة في القدم. وان وحدة اللغة والارض والتكوين النفسى المشترك والتاريخ الواحد والتكوين الاقتصادي الموحد ، كلها عوامل ابرزت القومية العربية كوجه حقيقى للامة العربية . ووحدة الامة العربية ليست وحدة اقطار غريبة بل هى عودة الى اصل الاشياء ، اي التقاء العناصر المعزولة قسرا . ولهذا فهى ضرورة حتمية تتحرك في الوجود الذاتى للامة ـ المجزأة ـ .

رابعا ـ ان الوحدة العربية وكما قلنا في الملاحظة الثالثة هى ضرورة ذاتية من صلب طبيعة الامة وتاريخها . ولكنها اضافة الى ذلك هى مطلب عصرى وصيرورة عالمية . أي أنها ضرورة موضوعية تفرضها طبيعة الوضع العالمى وقوى الامبريالية الضارية . فالتجزئة هى في الواقع منطق الاستخذاء لان الامبرياليين تسهل عليهم اناخة الاجزاء المشتتة . ولكن التوحد هو الجواب الحاسم ضد التسلط الاستعماري . ان العالم كما هو واضح يميل الى تكوين الاتحادات الكبرى ، وامامنا صور عديدة ونماذج مختلفة تعكس ذلك الميل ، (السوق الاوربية المشتركة ، الاتحادات الاحتكارية ، الاتحادات ومؤتمرات التضامن الثورية ، وكلها تأتي وراء الاتحادات المنظمة : اتحاد الجمهوريات السوفيتية ، اتحاد الولايات الامريكية .. الخ) .

خامسا ـ ان الوحدة العربية تطورت منذ الاربعينيات نافضة عنها كل

الشعارات المطالبة بالوحدة دون اي محتوى . فالوحدة على اساس الحكم المركزي الرجعي لفظتها الجماهير كشعار . ولذا فقد اغتنت الوحدة بمضمون وطني معاد للاستعمار عداء صريحا وكاملا .

سادسا ـ ان الوحدة على هذا الاساس الوطني ظلت ايضا مجرد مفاهيم وشعارات لم تتطور الى مستوى الحقيقة الواقعية ، لان (الوطنية) نفسها لم تعد كافية كسلاح تحرري امام الالاعيب الاستعمارية والاغراءات العديدة . فارتبطت الوحدة بالثورة الاجتماعية اي ان الثورة الاجتماعية لصيقة كليا بالوحدة . والوحدة ايضا لصيقة كليا بالثورة الاجتماعية وبذلك تطور مضمون الوحدة بتطوير (الوطنية) الى معناها الثوري الاعمق .

ولذا فالشعار الوحدوي المرفوع من قبل الشباب العرب في نوادى (استانبول) و (باريس) و (دمشق) و (بيروت) .. الخ ، ايام السيطرة العثمانية ، يختلف كثيرا ، في المضمون ، عن الشعارات الوحدوية المرفوعة في الاربعينيات .

والشعارات الوحدوية في الاربعينيات ما قبل عام ١٩٤٨ تختلف ايضا عن الشعارات الوحدوية ما بعد عام ١٩٤٨ . اي ان الوحدة كشعار ترتبط ارتباطا كاملا بالتحرك الاجتماعي والسياسي العربي ، وهي تغتني باستمرار في خضم التصاعد المتطور للحركات السياسية والاجتماعية .

سابعا ـ ان صيغة الوحدة ما بعد عام ١٩٤٨ لم تجد بعدها كما وجدته فيما بعد ، اي في الخمسينيات . وذلك تطور الى حالة جديدة اكثر وضوحا وغني وذلك بتقرير الاداة الاجتماعية المخلصة . فلم يكن الحديث عن مجردات عديدة كـ (وحدة الامة ، وكل الناس ، والشعب الكامل .. الخ) ، بل اخذ الحديث في تناول الطبقات الاجتماعية وتخصيص ادوارها في صعيد الثورة الاجتماعية . وانبثقت وحدة عام ١٩٥٨ كتجربة ثورية رائدة في المنطقة العربية وكنواة اولى كان مقدرا لها تحقيق تكثيف وحدوي اوسع . وكذلك برز الى الوجود ميثاق (١٧ نيسان) حيث تأكدت الاهتمامات بمنح الوحدة محتوى خصبا هو الاشتراكية . فلم يعد هناك حديث عن حد أدنى في المجال الوطني بل

دافعت القيادات السياسية التقدمية عن أهمية الاشتراكية كمضمون ترتقى بـه الوحدة العربية ، ومن الممكن ان يتحدث شخص عن جواز حصول وحدة بدون اشتراكية ، ولكن حديثه هنا لا يخرج عن نطاق النقاش النظري الذي تجاوزه الواقع العربى الى حد بعيد ، وعمليا لم نشاهد في المراحل السابقة حصول هذه الوحدة وبهذا الطراز مع تكون كامل الدوافع الوطنية المقصودة .

ثامنا ـ ان أحباط تجربة الوحدة المتمثلة في (الجمهورية العربية المتحدة) دفعت الثوريين العرب الى نقد التجربة نقدا كاملا ومن عدة جوانب . فالمؤامرة الانفصالية لم يقدر لها النجاح بهذه السرعة لو لم تكن هنالك بعض الاخطاء . وبالانتباه الى الادانة النقدية التي قام بها السيد (جمال عبدالناصر) ازاء الجهاز الأداري ـ بعد نكسة حزيران ـ تفهم عدم كفاءة هذا الجهاز للمهام الاشتراكية وبقاء اقسام عديدة منه منخرطة في بيروقراطية ادارية وروح بورجوازية ، هذا في عام (١٩٦٧) الذى يعتبر اكثر تطورا بما لا يقاس عن عام ١٩٥٨ وما بعدها. اذن كيف كانت وضعية الجهاز الادارى المناط بتطبيق الاشتراكية ابان الوحدة .

تاسعا ـ برزت مساهمات ثورية متطورة بعد المؤامرة الانفصالية مستوحاة من الاحاطة النقدية بواقع تلك الفترة . ولعب (حزب البعث العربي الاشتراكي) مع بعض القوى القومية التقدمية دورا كبيرا في وعي المحتوى الاساسى للوحدة مع اطارها الديناميكي . وظهرت بلورة جيدة للمضامين الوحدوية الاشتراكية على الصعيد الواقعى والممارسة العملية لا على الصعيد الفكري المجرد والارادات العليا . وتأكد بوثوق اكثر ان الجماهير العربية هى القوى التى تضمن بقاء الوحدة وتحرسه . وان الوحدة السطحية او الفوقية ليست وحدة بالمعنى الحقيقى وهى ان تنجح في حالات تاريخية فهذا لا يعنى قدرتها على الاستمرار . ولذلك تحدثت الوثائق السياسية والبيانات التي اصدرتها القوى التقدمية (حزب البعث الاشتراكي ، القوميون التقدميون ، الديمقراطيون ..) عن ان دولة الوحدة المنتظرة هي دولة الجماهير الكادحة في بناء نظامها الاشتراكي الديمقراطي .

عاشرا ـ ان الصيغة المدروسة للوحدة فيما بعد نكسة ٥ حزيران اختلفت كثيرا جدا عن الصيغ السابقة • واصبح الاصرار على الصيغ السابقة والتجمد النهائي اللانقدي على تجارب ايجابية سابقة هو من باب عدم الوعي بالحقائق التاريخية • لقد ظهرت لغة جديدة ـ والسياسة هي لغة وفن الممكنات التجديدية ـ وهذه اللغة تنتقد الصيغ السابقة ـ مع تقدميتها ـ في محاولتها لاستكمال صيغة ممكنة اكثر وعيا واكثر ثورية • ومن هذه اللغة انطلق شعار ادانة قيادة البورجوازية الصغيرة ـ التقدمية طبعا ـ لانها اظهرت عدم ارتفاعها الى مستوى المجابهة ضد العدوان الاسرائيلي •

وعملية النقد الجديدة في الجمهورية العربية المتحدة واستلام حزب البعث العربي الاشتراكي للسلطة في العراق واقدامه على خطوات ثورية حدية لا تقبل المساومة في مجال النضال العسكري ضد (اسرائيل) وهي دعم الثورة الفلسطينية وكذلك ، حلول جو جديد من الديمقراطية لانعاش الحوار والتحالف بين فصائل اليسار والقوى التقدمية •• الخ • كل ذلك هو تعميق ثوري لمعنى الوحدة وضرورتها ودور الجماهير وطلائعها الثورية الحقيقية في قيادة النضال الوحدوي • وهنالك نقطة هامة يجب التعرض لها • وهذه النقطة تدور حول طبيعة المواجهة الحالية بين الشعب العربي واسرائيل • اذ من المعروف ان هنالك قوى اجتماعية غير اشتراكية بل وحتى غير ديمقراطية تشترك مع القوى الثورية والتقدمية في عدائها لاسرائيل • وهذه القوى سيكون تركها او عدم الاهتمام بأقامة علاقات نامية معها دلالة تأخرية كبيرة • ان الضرورة الحالية التي يفجرها الوضع الاني تستوجب عدم اهمال أية محاولة تحالفية مع كل اولئك الذين يقفون في خط العداء الصريح والمكشوف مع اسرائيل • على ان هذه المحاولة التحالفية هي محاولة مشروطة لا تفقد فيها القوى التقدمية مركزها الحقيقي وفكرها الثوري • وان نشوء اتحادات معينة بين قطر عربي واخر على أساس عسكرى مثلا ـ حسبما تتطلب الظروف اللاهبة مع اسرائيل ـ من الممكن ان لا تكون مشروطة بمسائل ايديولوجية ما دام يتوفر فيها التوحيد القتالي ضد الصهاينة والامبرياليين •

الطريق العربي للاشتراكية

ما هي سمات الواقعية المميزة ؟

ان الطلائع السياسية الثورية في العالم العربي لم تتجمد في حدود معطياتها الايديولوجية الاولى .. بل هي تطورت على ضوء الرؤية الجديدة التي أثارتها التغيرات العالمية الكبرى وتزايد الخبر الثورية . ولذلك فمفهوم « الاشتراكية العربية » أصبح مفهوما يعكس مرحلة متقدمة من مراحل الوعي السياسي القومي . واذا كانت مبررات هذا المفهوم مطروحة سابقا فأن انتقال المجتمع العربي الى حالة جديدة قد استوجب التوصل الى وعي علمي اشتراكي .

وقد أشار (حزب البعث العربي الاشتراكي) الى هذه الحقيقة بجرأة مهمة في تشرين الاول ١٩٦٣ خلال انعقاد مؤتمره القومي السادس بقوله : (الا ان التأكيد على الصفة القومية للاشتراكية دون توضيح الاسس النظرية لهذه الاشتراكية قد يجر الى نوع من العصبية القومية السلبية تجاه الفكر الاشتراكي العالمي ، وبدلا من أن يكون هذا التأكيد نقطة انطلاق بمجابهة علمية واعية للشعوبية ، بقي مجرد رفض سلبي ، ولم يمتلىء بمضمون نظري ، فالخصائص التي كانت تسبغ على اشتراكية الحزب والتي سميت بـ (العربية) بقيت مجرد كلمة خالية من مضمون علمي ، ففصلت الاشتراكية في مرحلة من مراحل نضال الحزب عن لحمتها الاجتماعية والطبقية) ثم توصل مؤتمر الحزب الى وجوب (الخروج بدراسات نظرية توضح الطريق العربي الى الاشتراكية ، عن طريق تحليل التكوين الاقتصادي والطبقي) ـ المنطلقات ـ النظرية ـ .

كما أن (الميثاق) الذي قدمه الرئيس (جمال عبدالناصر) الى « المؤتمر

الوطني للقوى الشعبية » قد أوضح : (إن الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم . وان أي منهاج آخر لا يستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود .) من هذا يتضح لنا ان الوعي الاشتراكي قد تبلور الى درجة من النضج والوضوح متخليا عن الغيبية والعاطفية والاجتهاد الطوبائي ، مما دعا الى تعميق المفاهيم العلمية لاختيار المسيرة العربية الى الاشتراكية .

ومن البديهي ان الاختيار العربي للاسلوب والوسائل في انجاز الاشتراكية انما يؤكد الملامح الخاصة لهذا الطريق الثوري ، طريق البناء التقدمي الاشتراكي . وهذه الملامح بحد ذاتها ليست مجرد صفات ثانوية لا تعني شيئا بل انه اضافات خصبة تمنحها التجربة العربية لاغناء الفكر الاشتراكي العالمي . فكما أن تجربة السوفييت كانت رائدة في الميدان التطبيقي للاشتراكية ، كذلك كانت تجربة (الصين) ودول (اوربا الشرقية) والعديد من أقطار العالم الاشتراكي ، تعطي بعدا جديدا للتطبيق الاشتراكي . فالتطبيق الاشتراكي اذن لا يتكلس على خطوط محدودة وقوالب ثابتة بل انه يتغير حسب المقتضيات التي تتطلبها طبيعة كل بلد . وقد كتب (لينين) بهذا الخصوص : « ان جميع الشعوب ستصل الى الاشتراكية . ذلك أمر محتم ، لكنها لن تفعل ذلك بنفس الطريقة تماما ، بل ان كلا منها سيساهم بشيء ما من عنده ، بشكل ما من الديمقراطية ، بنوع ما من دكتاتورية البروليتاريا ، بمعدل مختلف من التحولات الاشتراكية في الوجهات المختلفة للحياة الاجتماعية » .

والواقع العربي يساهم هنا حسب امكاناته الثورية وبالقدر الذي تستفيد منه ظروفه في تحقق تطورها الجديد وهذه المساهمة الخلاقة التي تعطيها التجربة العربية تتجاوز الصيغ الشكلية والتحديدات النظرية المسبقة . ولذلك نحاول رصد بعض سمات التطور العربي نحو الاشتراكية بغية التوصل الى ربط ذلك بأنسجام حيوي مع التجارب الاشتراكية في العالم .

دكتاتورية البروليتاريا والطريق العربي نحو الاشتراكية :

ان دكتاتورية البروليتاريا تعني وبالضبط تحطيم الدولة البورجوازية واقامة حكم الطبقة البروليتارية كوسيلة لانشاء المجتمع الاشتراكي . وهذه الدكتاتورية برزت كمفهوم تحدث عنه (ماركس) و (انجلز) باهتمام قبل ان يأخذ وجوده

العملي . والاهتمام في تعميق معنى دكتاتورية البروليتاريا جاء بعد دراسة واعية ذكية لطبيعة (الدولة) في العالم . فالفكر البورجوازي حاول أن يضفي حول (الدولة) معنى تعاهديا او قائما على أساس (تعاقدي !) انساني مطلق ، ولكن الفكر الاشتراكي العلمي قد أنار أمام الاذهان حقيقة الدولة ، وكيفية نشوئها ، واحتمالات تغيرها وانتهائها .

ان (فردريك انجلز) في كتابه (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) قد قدم التحليل العلمي التالي : « الدولة ليست بحال قوة مفروضة على المجتمع من خارجه . والدولة ليست كذلك « واقع الفكرة الاخلاقية » ، « صورة وواقع العقل » كما يدعي هيغل . الدولة هي نتاج المجتمع عند درجة معينة من تطوره ، الدولة هي أفصاح عن واقع أن هذا المجتمع قد وقع في تناقض مع ذاته لا يمكنه حله ، عن واقع ان هذا المجتمع قد انقسم الى متضادات مستعصية هو عاجز عن انخلاص منها . ولكيلا تقوم هذه المتضادات ، هذه الطبقات ذات المصالح الاقتصادية المتنافرة ، بألتهام بعضها بعضا والمجتمع في نضال عقيم ، لهذا اقتضى الامر قوة تقف في الظاهر فوق المجتمع ، قوة تلطف الاصطدام وتبقيه ضمن حدود « النظام » . ان هذه القوة المنبثقة عن المجتمع والتي تضع نفسها ، مع ذلك ، فوقه وتنفصل عنه أكثر فأكثر هي الدولة » .

والذي يظهر بجلاء من هذا التحليل ان (الدولة) هي ذات صفة طبقية . وقد تكون أداة رسمية بيد طبقة واحدة أو مجموعة طبقات متفقة في (المصلحة) مع تعارضات خفيفة تحتمها نفس المصلحة الذاتية .

ولما كان التطور التاريخي نتيجة للصراعات الطبقية التي تمتلىء بها المجتمعات في العالم ، فمعنى ذلك ان الصراع حول السلطة وقيادة الدولة هو في الواقع تعبير عن الصراعات الطبقية المحتدمة . وبذلك لا يكون أي معنى لثورة بروليتارية لا تكترث لاستلام السلطة . بل ان مثل هذا الموقف ـ في علوم الاكتراث ـ هو غباء سياسي يقود الى فرض العدو الرأسمالي كل شروطه القاسية على الطبقة العاملة التي تنزلق في متاهات الخنوع .

ونستطيع أن نرصد هنا نقطتين هامتين في التفكير الماركسي : (الاولى) نقطة طبقية الدولة ، من حيث ان ماهية الدولة مستوحاة من طبيعة الطبقات

المسيطرة . و (الثانية) نقطة العنف الثوري وهو العنف المفروض ضد العنف البورجوازي . فلو لم يكن العنف البورجوازي قائما لما كانت ضرورة هناك للعنف المضاد والثوري . وعبر هاتين النقطتين الحساستين كان من الضروري بالنسبة لماركس وأنجلز متابعة كل الحركات الثورية في العالم ولا سيما في (اوربا) وذلك للتوصل الى تحديد مفهوم (المفاهيم الماركسية) . وهذا يوضح ان المفهومات الماركسية لا تكتسب الصيغة اللاهوتية بل هي محددة بشروط الواقع المتغير . ولذلك كانت المفاهيم عند (ماركس) و (انجلز) جدلية تتحرك بحرية واقعية تمتلك الاستعداد للتغير والتبدل فيما اذا كانت الظروف الواقعية تقتضي ذلك . ومتابعة (ماركس) للحركة الثورية الهائلة التي أسفرت عن (كومونة باريس) جعلته يحدد قبل (٤٦) عاما مفهومه عن دكتاتورية البروليتاريا . لانه في الثاني عشر من (نيسان) سنة ١٨٧١ - أيام الكومونة - كتب الى (كوغلمان) : « ... اذا ما تصفحت الفصل الاخير من كتابي « ١٨ برومير » تر اني أعلنت ان المحاولة التالية للثورة الفرنسية يجب أن تكون لا « تسليم الآلة البيروقراطية العسكرية من يد الى أخرى كما كان يحدث حتى الان ، بل «تحطيمها» ، وهذا هو الشرط الاولي لكل ثورة شعبية حقا في القارة . وهذا هو ما يحاوله رفاقنا الباريسيون الابطال » .

وعندما حلت ثورة اكتوبر ١٩١٧ بقيادة (البلاشفة) فقد كانت صيغة الحكم هي (دكتاتورية البروليتاريا) حيث تم تحطيم ماكينة الدولة القديمة لاحلال ماكينة ثورية جديدة هي أداة التنفيذ السياسي للبروليتاريا . والبروليتاريا عندما تستعمل دكتاتوريتها هذه فأنما لا تقدم (دكتاتورية) ذات معنى مطلق . ان دكتاتورية البروليتاريا هي دكتاتورية ضد القوى الطبقية (البرجوازية ، الاقطاعية) وأجهزتها الوظيفية ، ولكنها من الجانب الاخر ديمقراطية العمال والفلاحين الثوريين .

اذن فالدكتاتورية البروليتارية ليست هدفا بحد ذاتها . انها وسيلة فقط . وسيلة من أجل محو الطبقات وخلق المجتمع الانساني . وما دامت الطبقات موجودة تظل الدكتاتورية البروليتارية موجودة . و (لينين) أشار حول ذلك « فالطبقات ما تزال وستبقى باقية في عهد دكتاتورية البروليتاريا . وعندما تزول الطبقات

تصبح الدكتاتورية عديمة الجدوى . ولكن الطبقات لن تزول بدون دكتاتورية البروليتاريا » .

من هذا المنطلق السياسى العملي تبدت الدكتاتورية البروليتارية كوسيلة لتبيت دعائم مجتمع اشتراكي . هذه هي التجربة السوفيتية . ولكن هل حدث في (الصين) كهذا النمط من التجربة الثورية ؟ أي هل ان الصين اشترط حزبها الثوري عليها أن تسير مقلدة للتجربة السوفيتية بكل ميكانيكية ودونما وعي للفروق القومية والاجتماعية ؟

في الواقع ان التجربة الصينية اختطت طريقها الخاص والصائب ، فأقامت عن طريق التحالف بين حزب العمال والفلاحين وبين القوى الوطنية الاخرى حكم الديمقراطية الجديدة ، ديمقراطية الشعب الدكتاتورية . حيث مارس العمال والفلاحون والفصائل الثورية تحالفا سياسيا متينا بقيادة الحزب الشيوعي الصيني .

وبذلك يبدو ان ثمة فارق في استلام السلطة . فعلى أثر ثورة اكتوبر ١٩١٧ انبثقت سلطة الحزب الواحد ، في حين انبثقت في الصين سلطة التحالف الثوري الديمقراطي بين مجموعة قوى سياسية واجتماعية تقدمية بقيادة الحزب الشيوعي الصيني وكلا الامرين هما بمضمونهما تجربتان خلاقتان قدمتا للعالم أروع الملاحم النضالية العملية التي فتحت للبشرية دروبا جديدة وآفاقا جديدة .

والسؤال الان : هل ان الانتقال العربي للاشتراكية يتم بواسطة اسلوب محدد هو دكتاتورية البروليتاريا ؟ هنا لابد من القول لا .. فالبروليتاريا العربية ليست مشابهة للطراز الاوربي بل هي ضعيفة الوعي وقليلة العدد نسبيا . وقد تولدت في الارضية العربية حركات ثورية تقدمية استقطبت مجموعة القوى السياسية السائرة في النهج التقدمي وشملت العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والعسكريين الثوريين والبورجوازية الصغيرة وحتى قطاعات صغيرة من البورجوازية الوطنية المتقدمة.. أي أن هذه الارضية لم يتعرق فيها تنظيم بروليتاري متنام ومتمكن على تفجير حركة ثورية مشابهة لثورة اوكتوبر السوفيتية . وعوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية في اطار من التكوينات البدائية أو المتخلفة وقفت حائلا موضوعيا منع نشوء حركة بروليتارية متجانسة .

وبصورة واضحة نستطيع القول بأن مرحلة المجتمع العربي في أوليات القرن العشرين ولفترة زمنية أخرى كانت تهيء للبورجوازية مجال التحرك والنشاط أكثر من أي قوة اجتماعية أخرى • وبعد أن سقطت البورجوازية العربيه في وحل خيانتها للشعب العربي وآماله العادلة ارتفعت البورجوازية الصغيرة لتغزو الميدان السياسى والايدلوجي بذهنيتها ، وبعسر شديد ظهرت تيارات ثورية اشتراكية وعت تماما قابلية الوضع العربي ولعبة الاهواء السياسية واسباب الانتكاسات المؤلمة فأشادت لنفسها بناءها الجديد الرافض لكل السياسات الرجعية والمذبذبة والاصلاحية بهدي النظرية الثورية ومعتمدة الاشتراكية العلمية دون سواها من الاشتراكيات الاخرى والتي لا تملك غير الاسم •

فالنظم التقدمية في العالم العربي اليوم ترسم انتقالا جديدا للاشتراكية العلميه حسب طبيعة الظروف التي تعيشها • وتمارس العمل السياسى مجموعة قوى اجتماعية ثورية متحالفة يشدها عداؤها للامبريالية الصهيونية والاقطاع والبورجوازية الكبيرة والرجعية ، أي ان دكتاتورية البروليتاريا لم تكن شرطا للانتقال الى الاشتراكية في الاقطار العربية التقدمية • وتجربة كتلك سوف تكون في المدى النضالي تجربة تلهم شعوب العالم الثالث في وعيها حقها بالاختيار الثوري الضامن لبناء الاشتراكية فيها •

ثورة عربية على دفعة واحدة أم تطور ثورى ؟

ان الثورة العربية هي سلسلة متصلة من الحركات الثورية • أي انها لم تتفجر دفعة واحدة وكلا واحدا • بل هي ابتدأت في ممارسات ثورية محدودة ثم اتسعت وتنامت في مجالات اوسع • وارتكازات الثورة العربية انما تكون في قطر عربي أو آخر يخضع للتغير الثوري ثم يتجاوزه ذلك التغير الى اقطار عربية أخرى • فالثورة المصرية (عام ١٩٥٢) كانت قطرية ولكنها ذات بعد عربي • ومن القطر المصري امتدت الحركات التحررية العربية الى أقطار أخرى، العراق وسوريا والجزائر واليمن •• الخ • ومعنى ذلك أنه لم تحدث ثورة عربية كاملة الاشتعال على عموم الارض العربية ، بل ان الثورة تجسدت في مواضع عربية لتزداد فترة بعد أخرى •

هذا بشكل عمومي ، أما بالشكل الخصوصى فأن الحركة الثورية – اي

حركة ثورية – في القطر العربي – أي قطر عربي متحرر – لم تنبثق كاملة أيضا . أي أنها لم تتواجد بعد تشخيص ثوري واع وعلى يد طليعة ثورية متكاملة العدة . فالحكم الوطني في مصر ابتدأ وطنيا غير ميال للعنف بعد طرد الملك (فاروق) . ثم تطور برفع (المبادىء الستة) ثم نظم أداة سياسية يقال لها « الاتحاد القومي » ، ثم تم رفض هذا الاتحاد الهزيل وتم تشكيل (الاتحاد الاشتراكي العربي) وصدرت قرارات التأميم الشهيرة ، ثم حدثت انتكاسة الجبهة المصرية في (٥ حزيران) ، وتولدت رؤية جديدة تريد مسح الوضع بأكمله لتقديم حلول ترفض السطحية والبيروقراطية وتؤكد الدور الحقيقي للجماهير .

وخلال كل هذه المراحل نجد ان الوعي الثوري في (مصر) آخذ بالتطور والوضوح . ومعنى ذلك أن الحكم الوطني في مصر لم يبتدىء بصيغ محددة تستوعب الاحتياجات الثورية . ولكنه وعن التجربة الثورية تكشفت أمامه الحقائق الثورية .

ولنأت الان الى الحكم الجمهوري الثوري في العراق والذي قام بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، هل ان هذا الحكم ابتدأ وفقا لمنطلقات ثورية واضحة ؟ وهل كان يعتمد على أداة اجتماعية ثورية منظمة ؟ طبعا لا ..

ومنذ ١٤ تموز (١٩٥٨) حتى ١٧ تموز ١٩٦٨ حيث تبلورت النظرية الثورية والاداة الاجتماعية الثورية كم عانى العراق من المتاعب والتضحيات والتصادمات الاهلية حتى استطاع أن يتطور الى مرحلته المعاصرة (ما بعد ١٧ تموز) ؟ ونفس ذلك الشيء يتكرر في اقطار عربية أخرى ، في الجزائر وسوريا واليمن .. الخ .

المبادىء والشعارات تبدو واحدة أو متقاربة ، ولكن كم قيادة سياسية تغيرت ؟ وكم وجها برز في ميدان الزعامة ثم اختفى ؟.. ترى ماذا يعكس ذلك ؟ وما هو التشخيص الحقيقي لتلك الظاهرة ؟

طبعا الجواب واضح جدا !

فالتجربة العربية الثورية في كل قطر تبتدىء ناقصة ثم تتطور تطورا ثوريا. فقد تبدأ مثلا ببرنامج وطني ، ثم يتطور هذا البرنامج الوطني الى برنامج ذي

مضمون اجتماعي محدود ، ثم يتطور المضمون الاجتماعي الى مضمون آخر أوسع وأكثر ثورية وأصفى رؤية ، وقد تتغير الادوات الاجتماعية والاشكال انسيلسية والمبادىء . فأذا كانت القوى العربية القومية سابقا لا ترفع شعار (الاشتراكية) فأنها في مرحلة أخرى رفعته ، وفي مرحلة بعدها وسعته وعمقت مضمونة بشكل ثوري .

اذن فالواقع العربي يحتاج الى هذا التطور الثوري ، أو بالاحرى ان التطور الثوري اصبح سمة للواقع العربي . فأذا كانت ثورة اوكتوبر السوفيتية قد هيأت كامل أدواتها وبرامجها الاولى قبل الانبثاق فأن التجارب الثورية العربية ما قبل الخمسينات من هذا القرن كانت محدودة الرؤية ، محدودة الستراتيجية مجزوءة الارتباط الاجتماعي .

وان كل البدايات الوطنية في الاقطار العربية بحكم تطورها وبحكم ضغط الجماهير عليها تنقل نفسها الى مستويات تصاعدية . وشتان ما بين النداءات الوطنية والاجتماعية الاولى ، وبين المفاهيم الثورية الكبيرة التي ترفعها القوى السياسية التقدمية في العالم العربي .

والمهم ان الثورة العربية قد اتسعت رقعتها واغتنت بالنظرية الثورية والممارسة المتزايدة . والمعنى الجديد لها قد حدده (حزب البعث العربي الاشتراكي) في (المنطلقات) بأن : (التحويل الحقيقي الكامل للمجتمع العربي ، أي تحويله الى مجتمع عصري واشتراكي ، يمر عبر نسف كامل للبنى الحالية الاقتصادية (الاقطاعية والرأسمالية) للمجتمع العربي) .

هل ان الثورات في الاقطار العربية حطمت اجهزة الدولة في كل قطر ؟

ان التجربة الثورية في الاتحاد السوفيتي قد أقدمت على شيئين هامين :

اولا ـ تغيير جهاز الدولة البورجوازي لابداله بكادر جديد من العمال والثوريين يشرف على ادارته ، وهذه الخطوة تعرضت الى صعوبات عديدة عاناها الحكم البلشفي . فالعمال لم يتوفر فيهم العدد الكافي من الكادر الوظيفي المتمكن على العمل في جهاز الدولة الرسمي ، أما العناصر القادرة على ادارة واشغال الوظائف الرسمية فقد كان أغلبها من البورجوازية المتوسطة أو الصغيرة والتي طرد معظمها . ولهذا فأن الحزب في الاتحاد السوفيتي تراجع جزئيا وفي

بعض المجالات الحساسة عن تطبيق عملية العـــزل وأعاد الكثير من الموظفـــين البورجوازيين لحين تدريب الكادر العمالي أو الثوري الموظف .

ثانيا ـ أقدم الحزب على حل (الجيش) المحترف لتشكيل جيش شعبي جديد .

هذان شيئان هامان أنجز تطبيقهما الحزب الحاكم في الاتحاد السوفيتي . وليس بالضرورة ما يدعو في الواقع العـــربي حدوث مثـل ذلك . فالاجراءان المذكوران اعلاه متلائمان ومناسبان لطبيعة سلطة دكتاتورية البروليتاريا . أما على صعيد الثورات العربية فأن تغييرا جذريا وكاملا لم يحدث في جهاز الدولة . بل ان أغلب الاحتمالات ان أجهزة الدولة لم تمس الا جزئيـــا وبالتدريج . حيث يتم أولا ضرب الرؤوس الكبيرة المعادية لخط الثورة. وبعد ذلك يتم التطهـــير تدريجيا لعزل الاعداء الحقيقيين المعروفين فقط .

وحيث ان واقع الثورات في العالم العربي مختلف اختلافا كبيرا عن واقع الثورة السوفيتية ، فأن الثورة في القطر العربي تلجأ الى تغيير جهـاز الدولـــة تدريجيا في حين ان الطبقة العاملة حطمت جهاز الدولـــة البورجوازي وشلت العناصر الوسطية لحين استكمال تطورها فتبقى ، أو تراجعها فتضرب .

ان الثورة في جهاز الدولة في أي قطر عربي لا تتم بالشكل الذي تمت فيه في جهاز الدولة السوفيتي . وهذا بحد ذاته ليس صيغة غير قابلة للنقـــاش أو اكراها على عدم التغيير الثوري الكامل للجهاز ، ولكنه اقتدار قدمته التجربـــة العربية . وفقط في حالة وجود حكم حزب ثوري في قطر معين يكون التطهـــير في الجهاز الاداري أكثر جرأة وجذرية . وفي التحصيل الواقعي نستطيع القول ان الثورة العربية في اى قطر عربى غير مطالبة بنسف جهاز الدولة بأكمله مرة واحدة ، ولكنها أيضا يجب ان لا تبقي جهاز الدولة بأطاره الكلاسيكي ، أي أنها تطوره ثوريا وتدفع في عروقه دم الثورة .

ارتباط النضال الاشتراكي العربي باسترجاع الاجزاء المسلوبة من الوطن العربي :

ان الطريق العربي الى الاشتراكية بعد أن يقرر وسائله الخاصة والمناسبة لمقومات وقابليات المجتمع ، يجد نفسه في حالة لا يتخلى فيها عن الارتباط بالكفاح من أجل استرجاع الارض العربية المسلوبة ، فالطريق العربي بقدر ما هو نضال

مستمر من أجل الحرية والاشتراكية ، فهو متصل اتصالا وثيقا لا فصم له بمسألة الاسترجاع هذه . أي أن أية نضالات اشتراكية لا معنى لها بدون اعادة الارض المسروقة ، وان أي تحرير كامل للوطن باسترجاع اجزائه المغتصبة لا يتهيأ الا عبر النضال العربي الاشتراكي الشاق .

واذا كانت الجماهير العربية متأكدة من ان سلب الارض العربية في الاطراف قد كان بتآمر الاستعمار والرجعية العربية فأنها متأكدة اكثر من ان النظم البورجوازية الوطنية اضعف من أن تقدم أي حل لهذه القضية . فالنظم هذه بحكم خوفها من الجماهير وبحكم عدم تأديتها الخدمات الثورية تنسج شرنقة عزلتها وتخضع للضغوط الامبريالية . ولم يكن كشفا نظريا أو حدسا خارقا ان تدرك الجماهير بأن أي حل يكفل اعادة الارض السليبة الى أمها الاصل لا تقدمة الا القوى الثورية الاشتراكية . فمثل هذه القوى قوية بحكم علاقتها الوطيدة بالجماهير بما تحققه من تطبيقات تقدمية لخير الانسان العربي ، كما وأنها تقف موقف العداء الصريح والكلي ضد الاستعمار وركائزه العميلة ، وهي تدرك أكثر من سواه أي اغتصاب وقع تعرضت له الامة العربية خلال عهود طويلة من قبل الكولونياليين القدامى والجدد . واذا كان سلب فلسطين العربية قد تم بفعل التواطؤ الدنس بين الاستعماريين والصهاينة وبموافقة الرجعيين العرب فأن الحديث عن هذه القضية اصبح معلوما لدى كل مواطن عربي ولدى العالم أجمع بفعل ما حدث من الحاق جديد لها بأرض أخرى مغتصبة (قسم من مصر واخر من الاردن وثالث من سوريا) بعد معركة الايام الستة .

ونظرا للوعي الكامل والمقنع بأبعاد القضية الفلسطينية فأننا نترك الحديث عنها لنفاجيء أنفسنا بأستمرار بالمهزلة الكبرى ، مهزلة أن هناك اراضى أخرى كثيرة تعيش السرقة العلنية .

وهذا جدول عن أبعاد الاراضى السليبة ، مساحة وسكانا ، حتى يتواجه الانسان العربي بالحقيقة المؤلمة يوميا ـ الجدول مقتبس من موضوع للدكتور جمال حمدان بعنوان (مواطن الخطر في قوميتنا) ـ

المنطقة	المساحة بالميل المربع	عدد السكان
المحميات	١١٠ر١١٢	٨١٥ر٠٠٠

- عمـــان	٨٢ر٠٠٠	٥٥ر٠٠٠ر٠٠٠
- ساحل المعاهدات	٣٢ر٣٠٠	٨٦ر٠٠٠
« البحرين	٢٣١	١٤٧ر٠٠٠
« قطـر	٨ر٥٠٠	٤٠ر٠٠٠
- عربستان	٣٩ر٠٠٠	٣ر٣٣٠ر٠٠٠
- طوروس	٢٤ر٠٠٠	؟
« اسكندرونة	٢ر٠٠٠	٣٦٠ر٠٠٠
- جنوب ليبيا	٤٠ر٠٠٠	؟
- سبته ومليله	١٠٠	١٤١ر٠٠٠
« أفنى	٧٥٠	٣٨ر٠٠٠
« الصحراء الاسبانية	١٠٤ر٠٠٠	٣٧ر٠٠٠
المجموع	٤٤٤ر٩٠١	٥٥٤١٤ر٠٠٠

ويقول الدكتور حمدان مكملا : (ومعنى هذا أن أرضا تعادل أكثر من ضعف مساحة فرنسا ـ كبرى وحدات اوربا مساحة ـ وتعادل في نفس الوقت نحو عشر الوطن العربي البالغ ٤ر٣ مليون ميل مربع قد ضاعت على العرب ، وهذه الرقعة تضم حوالي ٥ر٤ مليون عربي « في المنفى ») .

ان من سمات النضال العربي من أجل الاشتراكية انه متصل بعملية تحرير الارض اتصالا كليا ، وهذا بحد ذاته اسهام تقدمه التجربة العربية في ضرورة عدم الكف عن النضال القومي المرافق للنضال الاشتراكي . والفارق بين الدرس العربي والدرس الصيني أن الصين أنجزت تشكيل وجودها كدولة اشتراكية وهي تناضل بعد ذاك من أجل استرجاع اوضها التي سرقها خونة الشعب الصيني بدعم النفوذ الاميركي .

في حين ان الدرس للعربي يؤكد ترافق النضال القومي من أجل استرجاع الارض المسروقة مع النضال الاشتراكي اي أنه لا تقوم دولة الاتحاد العربي الاشتراكية ما لم يكن قد تم تحرير الارض المغتصبة .

اليسار العربي والزيف والأصالة

لعل من أغرب ما يسجله القاموس السياسي حقيقة غموض اليسار العربي - وما هذا بالظن ولا بالمبالغة بل انه أمر مستقر أنتيجة المعطيات الايدلوجية الفعلية المعاشة في واقعنا العربي المعاصر . ان اليسار العربي غير متبلور حتى الان وهو في محاولته الجادة للتكشف وبفعل ضغط الظروف القسرية المفروضة من الخارج والمؤيدة من الداخل يجب أن يتلافى أشكالا عديدة وتواجدات متنافرة تدعي اليسارية ، في حين أنها وحدها المسؤولة عن اضطراب اليسار وتعثره اللامبدئي .

وأول هذه الاشكال (اليسار الاكاديمي) . ما الذي نعنيه باليسار الاكاديمي وما ظروف نشوئه وعزلته ؟ وهل هو يسار حقيقي أم انه تزييف مقصود ؟ الواقع ان اليسار الاكاديمي هو يسار المثقفين الذين يمتلكون قابلية التنظير الايدلوجي وجدارة التحليل لكثير من المواقف والمسائل السياسية . وهؤلاء المثقفون يخضعون على الاغلب - وليس عموما - لانانية شبه طبقية وهم ومهما تكن اعتناقاتهم اشتراكية يعيشون ضمن اهتماماتهم البورجوازية التي لا يستطيعون التخلي عنها الا بعد عنت . والمثقف العربي تقريبا وليس حصرا بمثل بؤسا غريبا لكونه يرسم خطا بيانيا للانشطار الواضح بين المذهبية وبين المعايشة ، فهو مثلا يتكلم عن أعوص المسائل الثورية وعن حرب العصابات وعن الستراتيجية الثورية والتكتيك الناجح ، لكنه لا يتعدى في كل ذلك المجال النظري ، وعمليا يمارس حياة ارستقراطية وتطلعا شبه وسمي لاستحصال مكانة

جديدة مميزة • لفترة معينة نخال أنفسنا وكأن مثقفينا هم أفضل من قدم بحوثا فكرية نشطة واسهامات ايدلوجية مطورة ، ولكننا مع ذلك نفجع بهبوط مستوى اليسار الى ما دون المفروض والاعتيادي • وهذه الظاهرة أمدت المثقف ولاحيان كثيرة بوضعيات ازدواجية ونزعات تبريرية تجنح يمينا تارة ويسارا اخرى من أجل أن تفسر وتقدم تعليلات متأخرة تنسحب انعكاساتها على واقعنا السياسي فتمسخه بشكل أهوج • ان عجز المثقف عن أن يكون ثوريا حقيقيا ليس بهذه الدرجة من الخطورة ولكن درجة الخطورة هي في تنامي صفة البيروقراطية وتعاظمها بحيث تتحول سلاحا ارهابيا فتاكا يوجه ضد اليساريين أنفسهم • وظاهرة المثقفين كما يبدو تزخر بها المجتمعات في مرحلة النشوء الثوري ، وقد أوضح ذلك كظاهرة حتى في الصين (ماوتسي تونغ) (أندريه مالرو) • ولكن الشيء الذى لا يغيب عن البال أن هؤلاء المثقفين لا يقفون في البدء كقوة معوقة بدرجة أو باخرى في المجمعات الاشتراكية ، انما يشكلون اعاقة جانبية بعد مرحلة تثبيت السلطة ، أما عن المثقفين العرب فهم وقبل أن تتحقق بعض آمال الشعب العربي في الحرية والاشتراكية يفلسفون اليسار ويزيفونه أنى شاءوا • ان المثقف العربي يكون نموذجا لعدم الفعالية لكونه لا ينخرط فعليا في العمل الثوري ، انه يريد أن يقلد صيحة العمل الثوري لكنه لم يجرؤ على أن يطلق الصيحة فعلا • أي انه يظل حبيس حدوده البورجوازية دون أن يحطم الطوق التقليدي والاسلوب الشائع والنظرة الموروثة عن المثقف كمتزن (عاقل لا يلقي بنفسه الى التهلكة !) وطبعا هذا لا يعني انعدام وجود المثقفين الحقيقيين الذين دافعوا عن شعاراتهم بنكران ذات واخلاص متناه ، لكن قلتهم وعدم توفر شروط العمل الثوري الحقيقي جعلهم في حالة من السلبية القصوى ، السلبية المفروضة عليهم •

ان اليسار الاكاديمي هذا ينبعث لا بفعل شروط وجود حقيقي بل انه ينبعث بفعل امكانيات ممنوحة من الاعلى ، لذلك فهو ليس جوابا طبيعيا لاحتدامات اجتماعية قائمة ، ولكونه هكذا ليس وليدا حقيقيا فهو لا يمتلك سوى خاصية الوصف والتحليلات السطحية والمتناقضات في فهم المرحلة وطريقة التجاوز •

وغالبا ما ينخرط قادة هذا الفكر الاكاديمي في اقتباسات غريبة ومتنوعة تجمع أشتاتا من الماركسية والبرودونية والسان سيمونية والمالثوسية والعقلية الدينية والتفسيرات المثالية من أجل اخفاء جوهرهم الضحل واصطياد المناسبات لاقامة مناهج احتفالية جاهزة ، في حين أنهم يصطفون في الخطوط الخلفية أصلا • ومن مظاهر عقلية الاكاديميين في واقعنا ظهور شروحات غريبة توهم القراء بأنها مدعومة بنظرية ثورية صادقة ، فهي تعزل المقولة الثورية عن واقعها الحي والذى أوجدها ومن ثم تنسبها بشكل فج واضطهادي الى حادثة تختلف تمام الاختلاف عن الحادثة الحقيقية التي ولدت المقولة تاريخيا • كأن تفسر (الخطوة الى الوراء) تفسيرا دجالا يدعو الى تقديم تنازلات عديدة وعدم تشبث بأي موقع • أو كأن تفسر نظرية (نظرية اخضاع التناقضات الثانوية للتناقض الرئيسي) بأهمية (تأجيل الصراع الطبقي) لخدمة الصراع بين (كل الامة) وبين (اليهود) •

ان هذا اليسار الاكاديمي يتطرف حينا ويتراجع حينا آخر وهو يجعل من تجربة شعبنا العربي مقاسا يطبق عليه حساباته الخاصة فكأن حساباته هي اعتقاد مطلق خلقت كل الوقائع لاثباته وتأييده ! وهذا اليسار يستغل الامكانيات المعطاة له فيسخر الصحف والمجلات والندوات لتقديم برامج مضللة وتحليلات ديماغوغية مضببة • وهذا اليسار ينفضح في المواجهات الثورية الكبرى فيضطر أن ينزوي ململما أذيال معلوماته المغرضة والمقطوعة الجذر • وحيث أن شعبنا العربي يتهيأ لاقصى درجات الشجاعة والضبط والتسلح الثوري لتحقيق وجوده الكامل والحر والمشروع ، ولكونه يدخل معركة ضارية ومصيرية ضد غزاة فاشست وعدوانيين مسلحين بكل ما يهيء لهم مجالات عدوان أكثر فاننا يجب أن لا نسمح لاولئك اليساريين الاكاديميين أن يكونوا أساطين الفكر الثوري ومنظريه • ان أقل ما يشترط في اليساري هو أن يمتلك استعدادا كليا للتضحية من أجل شعبه ووطنه ، وهو يستطيع فقط أن يتكلم عن ذلك لكنه يتصعق أمام الامتحان • ان القدرة الفدائية هي الوحيدة التى تعري الاكاديميين وتفضح الدور الوضيع الذى يلعبونه • واليسارية نفسها ليست عرضا لقضايا الفكر

الثوري فحسب ، انها عمل ثوري وبدون العمل الثوري لا يتوفر الصدق في النظرات الثورية ، والاكاديمي اذ يتنصل من العمل الثوري انما يقدم مجموعة صفقات مبطنة بشعارات الثورة ولكنها في الحقيقة تريد النيل من تطلع شعبنا العربي الى مستقبله الافضل الذى يصنعه بنفسه •

وهناك الشكل الاخر وهو (اليسار التقليدي) ، وهذا اليسار يمتلك ارثا فكريا على هيئة مقولات معينة ومحدودة تستعمل في كل الحالات وبشكل دوغمائي حاد • وهو بهذه الوضعية يحول الفكر الاشتراكي الى فكر متكلس يستعمل على هيئة بطاقات وصفية تصر على عدم فهمها للظروف الذاتية والموضوعية للحدث المعين لذلك فهو من خلال هذه العقلية يمثل بيروقراطية صارمة وعدم مرونة في التعامل مع الاطراف المتفقة في شعار مرحلي معين • وهذا اليسار يمتاز بانغلاقه أمام كل التأثيرات الجديدة في عالم الفكر الحر والاشتراكية على أساس اعتقاده الجازم بلاشيئية أو تفاهة ما هو خارج عنه وهو في نفس الوقت يعقد ظروف العمل الجبهوي ويميل الى فرض شروط قاسية يمليها بحيث تكون شروطه هذه في الدرجة الاولى وتفوق في الحساسية والاهمية الغاية التى يتحتم نحوها العمل الائتلافي الثوري • واليسار التقليدي نفسه يعتبر شكلا برجوازيا آمريا يتمسك بشعارات يسارية نظريا في حين أنه ينسف ومن الداخل كل النوى التكوينية للبناء اليساري فهو :

أولا ـ قليل ان لم يكن منعدم الثقة بالقوى السياسية أو اليسارية أو الديمقراطية أو الوطنية التي من الممكن شل الاجنحة اليمينية فيها وعزلها لضمان دفع اليسار المبتدىء فيها الى اليسار الحقيقي • ومن هذا الاساس (فقدان الثقة) تنزرع ألغام تمزق العمل الوطني ككل والذى يشكل مبدئيا الموضوع الحيوي بالنسبة للجميع •

وثانيا ـ واذ تحتدم الخلافات بين الاطراف المعنية بين الاتهام والرد على الاتهام باتهامات أشد وأكثر اسفافا يتغير طابع المعركة فيكون اقتتالا شعبيا داخليا بدل أن يكون توحيدا داخليا ضد الامبرياليين وأعداء الشعب • واذ يتحول

التناقض الرئيسي والخطر الى الخطوط الخلفية محتفظا بوجوده كتناقض رئيسي لفظيا فحسب ، وفي نفس الوقت يتم ابراز وتهويل التناقضات الثانوية وتتحول الى تناقض رئيسي حاد ، يلعب اليسار التقليدى دورا تدميريا هائلا .

وثالثا ـ يتكيء هذا اليسار التقليدي الى يقين رياضي بأبوته ومسؤوليته التى ينفرد بها كصاحب الحق الوحيد في مسائل التكتيك والستراتيجية الثورية وقضايا البرمجة والمنهجة النظرية . وحيث ينعزل عمليا لاتباعه أساليب متخلفة أو منحرفة ، يكسبه اصراره على الاولوية سخرية واحتقار أغلب اليساريين . وان الوضع البيروقراطي الذى يغرق فيه التقليديون ينقلهم الى الجانب الاخر حيث يتمسكون بحق الهي مرفوض أصلا وحيث يئدون بأنفسهم مقولات الثورة والاشتراكية التى يرنمون بها .

ورابعا ـ ان اليسار التقليدي في أغلب المواقف يقدم وجهات نظر مستنسخة ومنقولة عن قوى يسارية تخرج عن منطقتها جغرافيا دون أي فهم صادق وجدي لطبيعة التشابكات والتناقضات ودرجة تفاقمها في موطنه . ان هذا الاستنساخ غير مبرر أبدا وهو يعد خرقا فاضحا لابسط مفاهيم اليسار الحقيقية .

وخامسا ـ ان نصية اليسار التقليدي تتضح عبر شكلين الاول النصية الايدلوجية حيث ان الذخيرة الفكرية الوحيدة عنده هي المعطيات المنقولة والمبتورة (بعزلها عن واقعها الاصلي) والتى تحرف وتشوه الفكر اليساري لانها تحوله من فكر عالمي ثوري خلاق وكمرشد عملى الى تسطيرات مقولبة بتقديس كنسي ، وتزيفه بتحويله من ثورة حقيقية دائمة الى مجرد طقوس . وهناك النصية الثانية والاكثر خطورة وهي نصية تجريبية يفرضها اليسار هو فقط ، أي انه يحتكم الى تجاربه على أساس انها التجارب الوحيدة التى لم تخطىء والتى تؤخذ منها الدلالات .

وسادسا ـ ان هذا اليسار لا يغير في وسائله النضالية أبدا وهو يحافظ على أنماط ثابتة في العمل السياسي والثوري دون أي اعتبار للتبدلات التى تعتري

العالم وتستجد من حين لاخر . وحيث يقابل دعاته العالم المتجدد باستمرار باسلوب تقليدي قديم فهم يتحولون مباشرة أو بشكل غير مباشر الى معوق يعترض نمو وتعاظم الحركة الثورية . ان هذا اليسار التقليدي اذن يشكل فشلا مرا واليه تنسب كثير من الانتكاسات التى منيت بها الحركات التحررية العظمى . وهو يصدر من وقت لاخر نوعيات غريبة يمينية أو يسارية ، متطرفة أو معتدلة تخلق ارتباكا للوعي السياسي الثوري الجيد .

وغالبا ما يكون هذا اليسار التقليدي منظما تنظيما حزبيا . وفي واقعنا العربي نستطيع أن نرصد حركته منذ الاربعينات حتى الستينات فنجده لا يمتلك أية مبادرة ثورية تحويلية ناجحة في حين انه يتحدث وكأن بيده خيوط كل التحركات والاحداث السياسية . ولشد ما يشبه أحيانا طائفة دينية تتقوقع في حجر مذهبي جامد وتتاكل دون أن تفعل شيئا للحركة العربية ولا حتى لنفسها .

وهناك شكل من أشكال اليسار هو (اليسار الظرفي) وهذا اليسار وقتي وطارىء على اعتبار أنه يسار انفعالي فجرته ذروة الاحتدامات المصيرية . وهذا يفتقر الى شيئين : (أولا) الخلفية الايدلوجية حيث انه لا يمتلك وعيا ثوريا أكيدا ، اذ لا يغيب عن الرؤية أن الوعي الثوري ليس وعيا استهلاكيا ولا ترخيصا سياسيا انه امتداد وعمق واحاطة . وله جذور تضرب في المسافات البعيدة . و (ثانيا) القدرة النضالية . وهذه القدرة طاقة متجددة جريئة لا ينضب معينها في التضحية والاخلاص والصراع . ان اليسار الظرفي يفتقد هذين الشيئين فهو سطحي انتقالي سريع . وسواء أكان ظهورا مفاجئا غير مصدوم سرعان ما يختفي تحت وطأة الريح أو نزوة مغامرة لا يمكن بأى حال اعتبارها موقفا ثوريا ، يظل اليسار الظرفي هامشيا تماما . وخطر اليسار الظرفي يتمثل في أبعاده اليسار الحقيقي عن الميدان لانه يتكلم بنفس حججه تدعمه في ذلك امكانيات ممنوحة . فمثلا ان قوة سياسية لم تتكلم عن فكر أو منهاج

يساري أبدا ويفعل تأثير انتكاسة حزيران شرعت في تقديم تحليلات واستنتاجات يسارية ، ولتوفر كل المجال لها نسبت لنفسها أنها القوة اليسارية المخلصة ولم تقدم أي دليل على حرصها على توحيد قوى اليسار . هل نقول عن هذه القوة المفترضة بأنها يسار حقيقي ؟ طبعا لا ، انها تمثل يسارا ظرفيا الا اذا قدمت أدلة عديدة توضح تجديد هويتها .

الخلاصة اننا نستطيع أن ندرك جيدا هذه اللوينات جميعا ، فاليساري الاكاديمي يتحفنا بالتحليلات عشرين عاما أو أكثر تحت حماية السلطة ـ أية سلطة ـ ودون أن يذوق شيئا من ألم المعاناة ولم يعلن استعدادا طوعيا في خدمة الحركة الثورية العربية . واليساري التقليدي يقبع في حدود تنظيمات خلوية معاقرا أدبياته بشكل نرجسي ساخط دوما وغير منفتح أو متطور . واليساري الظرفي يظهر في المناسبة لانها عرسه وان كانت مأتما .

ولاجل أن يتلمس اليسار طريقه الحقيقي ينبغي أن يدخل في معركة فضح وازاحة ضد كل الاشكال التزييفية والانشقاقية والتحريفية ، وهذا لا يكون أبدا الا عن طريق ضمان أصالة لا شك فيها . ان اليساري الحقيقي يمتاز بجملة صفات وقابليات توفر له سمعة ثورية جيدة :

أولا ـ اليساري الحقيقي له ثقة مطلقة بالجماهير ومكانتها ودورها التاريخي ، والجماهير بالنسبة له الغاية والوسيلة . وبذا يحقق ارتباطا كاملا بها ويرجع لها من حين لحين في كثير من مسائل النقد والاستفتاء . اليساري لا يتكلم عن الجماهير في حين انه يستهين بطاقاتها بل ان ثقته بها لا حد لها ولا تقف ضمن حدود . ان عزلة الثوريين عن الجماهير هي السبب في فشل التزام الجماهير للقضايا الثورية التي ينادون بها . الجماهير أكبر من أي حزب أو تنظيم أو مسؤول أو سلطة . ومن هذا الاساس ينطلق اليساري .

ثانيا ـ اليساري يسترشد بايدلوجية ثورية جدلية يستطيع من خلالها تحصيل رؤية كاشفة ويستطيع وضع الستراتيجية وتبديل التاكتيكات الثورية

ورفع الشعارات التى تلخص مصالح وغايات الشعب الانيـــة أو المرحلية أو العامة • واليساري يمتلك خلفية فكرية خصبة تمنحه استعدادا فلسفيا وسياسيا وأدبيا يكفل المعاصرة الحقيقية الهادفة • وهو بذلك عدو لكافة أشكال العسف والاضطهاد والتعصب •

ثالثا ـ اليسارى ينمي أخلاقية ثورية توطد مكانة الثوريين وتعزز مـــن علاقتهم بالجماهير وثقة الجمـــاهير بهم • فهو عـدو للانهـــزامية والوصولية والانتهازية والتهريجية •

رابعا ـ اليساري ليس نصيا ولا تجريبيا ولكنه في نفس الوقت لا يستغني عن النصوص والتجارب ويعتبر كل الثقافات ارثا انسانيا ضخما يجب تطوير جوانبه الايجابية والاخذ بها • واغناء الفكر اليساري بكل المحصلات العلميـة والانسانية الرائعة وملاءمتها وتوحيدها مع التجارب الانسانية هو من مهمـات اليساريين الاساسية •

خامسا ـ ان شعار اليساريين في ضرورة تكوين مجتمع عربي اشتراكي موحد يدفعهم الى اتخاذ موقف تعـاوني تضامني ايجابي مســؤول ازاء كـــل الوطنيين والتقدميين مهما كانت درجات وعيهم ورؤيتهم وفي الوقت نفســه يتخذون موقفا شديدا ضد الفصائل والزمر المرتبطة بالامبريالية العالمية وقوى الاستغلال المحليـة •

سادسا ـ اليساري لا يلتزم أي انشقاق في المعسكر الاشتراكي ولا يمكن أن يجعل ارتباطاته بالمعسكر الاشتراكي عاطفية أو رسمية أو بوضع عبـودي • انه يعتمد على بصيرته الثورية ووعيها لظروف مجتمعنا بالدرجة الاولى مـــع الاستفادة من خبرات وتجارب الثوريين في العالم كافة • ان التـزام الاتحـــاد السوفياتي أو الصين في خلافهما العقائدي بشكل اندفاعي حماسي ليس دليلا على الوعي اليساري أو الاخلاقية الثورية ان لم يكن تحريفية مقصودة •

سابعا ـ اليساري الحقيقي هو الذى يمارس نشاطا ثوريا متجددا لخـدمة

قضيتنا العربية (كالفدائيين العرب الابطال مثلا) دون أن يتخلى عن دعمه لكل قضايا التحرر والثورة العالمية •

ثامنا ـ اليساري اخصائي في معرفة طبقات المجتمع العربي والفواصل التي تجزيء وجزأت هذا المجتمع ، ويدرك طبيعة ظروفه الذاتية ووضعه العالمي والتحولات الكبرى الخطيرة في العصر ولذا فهو لا يتوانى أبدا عن التضحية بالاجزاء وبالمصالح الموقتة من أجل الشعار الاكبر ، شعار تحرر الارض العربية وبناء المجتمع العربي الاشتراكي •

ان الندوة الاشتراكية التي عقدت في الجزائر ينبغي أن تعمم كتجربة مهمة وخلاقة تستهدف ايجاد لقاءات بين الاطراف والقوى الثورية ، ومن خلال هذا الطريق يستطيع اليسار الحقيقي أن يتبلور ويزيح كل الاشكال الزائفة والمظهرية ليضمن أصالة حقيقية نامية •

ونظرية البؤر الثورية

بعد أن خرجت الثورة العالمية من حدود الاحتمال الى حدود حتمية الظفر ، فرضت مواقع العمل الثوري وظروفه مسائل تكتيكية عديدة بلورت بشكل مكشوف التغاير في استعمال الوسيلة الثورية ، وامكانية العمل الثوري في اختيار أدواته واسلوبه المميز . بحيث بدا ، أكثر من أي وقت مضى ، ان الاصرار على اسلوب عملي معين ومحاولة تعميم تجربة أو تجارب ثورية معينة لا يعني الا الانطلاق من فهم غبي ودوغماطيقي لمفهوم الثورة .

ولما كانت التجربة الكوبية الرائدة قد أغنت الثورة العالمية تطبيقيا فقد اقترن شعار (البؤر الثورية) بهذه التجربة بوضوح برزه بجلاء (كاسترو) و (غيفارا) و (دوبريه) و العديد من الثوريين الجدد الذين منحوا الثورة مذاقا رومانسيا عجيبا . وكان أن احتدمت مناقشات كثيرة حول هذه المسائل المطروحة بشكل ساخن وآني بحيث أصبح كل ثوري مطالبا بتكوين وجهة نظر موحدة وغير مضطربة بهذا الخصوص .

لذلك فالسؤال يطرح منذ البدء بهذه الصيغة : هل ان الاجتهادات الثورية منطلقة من مصطلح البؤر الثورية ومدى بعده التأريخي ، أم انها تتعلق باطروحة أو اطروحات ثورية اخرى ؟

ان الجواب هنا يقتضي أساسا التأكيد على حقيقة ان (البؤر الثورية) بحد ذاتها ليست نظرية أو تطويرا محدد المعالم للفكر الثوري المعاصر ،

فالبؤر الثورية أدركها الانسان الثوري بالفطرة قبل أن تشير لها الايديولوجية الثورية ، بحيث نستطيع القول ان البؤر الثورية لم تكن قرارا اختياريا أو ابداعا في الاساليب الثورية . لقد كانت بالاصل رد فعل ثوريا كان على الشخص أو القوة المحرجة أن تختاره وجوبا واضطرارا كامل الطبيعية للدفاع عن الحرية الانسانية . ولذلك فان جميع الحركات التحررية في العالم ومنذ الازمان السحيقة كانت تستعمل (البؤر الثورية) بدرجات حسب اقتضاءات طبيعة البلد والزمن . وكان هذا الامر عمليا تماما ، ولئن غامت ملامحه في بعض الحركات الحضرية فقد كان مجرد هروب (المصلح) أو (الثائر) الحضري واختفائه في قرية ما هو تمهيد لتأسيس بؤرة ثورية . علما بأن مما يدخل في حسابنا أن الخط البياني الانتقالي لنموات (البؤرة الثورية) لا يغفل أبدا حساب (الزمان) و (المكان) و (القدرة البشرية) .

ولذلك فان المسألة ليست مسألة (البؤر الثورية) أو سواها ، كما يحلو للبعض من الشراح والمتحدثين الاستفاضة بالحديث حولها ، وانما هناك المسألة المهمة والتي تشكل الخلفية التي أثارت المحاورات القائمة . هذه المسألة هي : في ظروف العمل الثوري لمن القيادة ، للمدينة أم الريف ؟ و (الريف يعني لدينا دون تجاوز كل ما يبتعد عن المدينة من حقل أو سهل أو جبل أو سوى ذلك) .

هذه هي القضية المزمنة التي ابتدأت منذ النقطة الاولى – عقائديا – في ثورة الصين ، وخلقت انقسامات عديدة في القيادات الثورية . ولما كان الامر في ذلك الحين هو التواجه مع التجربة الجديدة بما يترتب على ذلك من خطأ أو اضطراب في تطبيق العقيدة على التجربة أو التجربة على العقيدة ، فان الامر في هذا الحين يكون مختلفا جدا لاننا الان نستقرىء في حين ان (الابناء) كانوا يغامرون !

ان الوضعية الحقيقية والبارزة هي بهذا الشكل :

أولا – من هم القادة ، العمال أم الفلاحون ؟ أي المدينة أم الريف تجاوزا ؟

ثانيا ـ أين تتعين القيادة والعمل النضالى في المدينة أم في الريف ؟ وهل يكون ذلك مشروطا بالمدينة ـ العمال ، أم القرية ـ الفلاحين ؟

من خلال هذين السؤالين نبحث عن المنطلق .

والواقع اننا لا بد أن نتعرض للمقولة الثورية الشهيرة التى أكدت الفعل القيادي الرئيسي للعمال ، ونعطي لهذه المقولة بعدها المشرق .

لماذا العمال ؟

أولا ـ ان ظروف الطبقة العاملة ترشحها لاستلام القيادة السياسية فيما اذا أخذنا بعين الاعتبار تأريخية التطور الاقتصادي والعلمي . لان هذه الظروف توضح ان (البرجوازية) التى انهت أو تنهي (الاقطاع) هى تحرير للفلاح وتأسير للعامل . وان العبودية المتنقلة تاريخيا وعلميا تؤكد أن آخر العبيد في العالم وفي نضج التطور هم العبيد العمال . اذ عندما يتحرر (الفلاح) ويمتلك قطعة أرض انما ينال بغيته (الملكية الفردية) من قيادة (البرجوازية) التقدمية أولا فقط . ولما كانت الثورة للمظلومين فان من مميزات عصر العلم والذرة والالة الهائلة ان يقود الاجراء الثورة حتى النقطة النهائية .

ثانيا ـ وبالنسبة للوعي الطبقي نجد أن الفلاحين ـ وبأبسط اطلاع ـ يمثلون قوة كبيرة مظلومة ولكنها حبيسة تهويشات عديدة ، انها تتأثر بالخرافات والغيبيات وتجهل مسائل كثيرة ، ان طبقة الفلاحين لا يصلها العلم الحقيقي والتطور التكنولوجي مباشرة ، انما يصل اليها الانعكاس أو مويجات الموج الاصلى . في حين ان وعي الطبقة العاملة هو الوعي الجريء لانه الوعي الذى يقف وراء الالة والعلم . أي أن وعي العمال الطبقي أكثر اشراقا وتوهجا في حين أن الوعي الفلاحي يتخلخل بحيث يمنح نفسه أحيانا للوضعية العشائرية دونما اهتمام لقناعاته الجديدة .

ثالثا ـ ان بعد الفلاحين عن المدينة يفعل فعله . ففي المدينة ـ هذه البؤر الحضارية ـ حيث يجري كل شيء وحيث ينمو العلم والمناقشات والعلاقات مع الخارج يكون العمال من الاوائل الذين يفهمون كل شيء بحكم وضعهم : انهم المنشئون الاصليون ، لكن الفاقة نصيبهم !

رابعا ـ ان الفلاح في نعيمه قد يتوقف عن النضال بمجرد أن يحقق

أمتلاكه الخاص للارض • ولكنه في بطالته يهرب الى المدينة متحولا الى عامل • وهذا الاستقطاب يوضح أن أغلب الفلاحين الشديدي البؤس يضحون عمالا • وبذلك تتلخص الحالة بصورة جديدة لان العمال الاوائل الذين يجسدون النضال الطبقي انما يستلمون أنصارا جددا يؤكدون النواة الاصلية •

اذن فالعمال هم المرشحون لتحريك التأريخ بحكم العلم وبحكم طبيعة الطبقة الحاكمة محليا أو عالميا – بعضا – أي الطبقة الرأسمالية • ولكن ••

وهنا يكون الاستدراك موضوعيا فعلا • ان المدينة تمت بحكم نشوئها بفعل الصناعة والتأسيس البرجوازي المضاد للاقطاع • أي ان المدينة هي بقيادة البرجوازية تأريخيا وفيما قبل الظهور الاشتراكي • وبعد أن ظهرت الحركات الثورية في المدن ، وبعد ان أدركت البرجوازية أن موتها سيكون بفعل ضربات الطبقة العاملة ، ولقدرة البرجوازية على الاحتيال ولمكرها في محاربة العدو الاشتراكي لها فانها عرفت كيف تحجز – بعض الشيء – الطبقة العاملة عن دورها الثوري السريع • ولذلك فقد استعملت البرجوازية عدة وسائل برجوازية أو شبه اشتراكية منوعة لتدمير الوعي الطبقي في المدينة أو للابقاء على هذا الوعي الطبقي في حدوده النظرية والسلمية ومنعه من أن يتحول الى ثورة جذرية اشتراكية • ولذلك فان الثورة العالمية أصبحت في بعض البقاع وكأنها أسيرة لمؤثرات الصنع البرجوازي من (السلم الطبقي) الى (البرلمانية) الى (التدرجية) ••• الخ •

وبقدر ما توصل اليه الخبث البرجوازي المعادي للبشرية فان ذلك كفل أيضا للثورة العالمية حركة جديدة واسلوبا جديدا • ولذلك ظهر للوجود أن (الطبقة العاملة) تستطيع أن تنقل نضالها الثوري خارج المعمل والمدينة • وهذا النقل ليس اجتماعيا شرطا بمعنى أنه لا يستوجب أن تذهب الطبقة العاملة كلها للريف لممارسة النضال ، ولكنه نقل سياسي يستبيح ابتداء النضال المسلح من الريف للقيام بالتحرير •

الفلاحون الثوريون كحليف مباشر :

وهذا النضال المسلح من الريف كائنا ما كان نوعه أو أداته الاجتماعية محسوب تأريخيا بقيادة الطبقة العاملة بحيث تكون الطبقة العاملة مدانة سياسيا

ـ والمقصود هنا تنظيمها ـ فيما اذا لم تع هذه المسألة أو لم تلتحق بها ، ويكون الفلاحون أداة للبرجوازية ، هائلة وخطرة ، فيما اذا لم يعرفوا قيادتهم الاصيلة المحالفة للثورة العمالية .

ان (كاسترو) و (غيفارا) و (دوبريه) ليسوا فلاحين ولكنهم يعتنقون مبادىء الفلاح الثوري . وهذه المبادىء ليست مبادىء فلاحية اطلاقا فحسب بل هي مبادىء بشرية تأريخية ، مبادىء تحمل ما بعد الانتصار تحويل الفلاح الى مسؤول يدرك تماما خطر الانانية الطبقية والملكية الفردية .

الفلاحون قوة اجتماعية ضخمة تستطيع ، اذا كان هناك تحريك سياسي جيد ، أن تمارس دورا تحويليا خطيرا ، ولكن هذا لا يعني أن الفلاحين باستطاعتهم كقوة منفردة أن ينشئوا مجتمعا اشتراكيا . ان الوعي العلمي لطبيعة الفلاح الطبقية وذهنيته تجعلنا ندرك أن موضوع قيادة الفلاحين للحركات الثورية التغييرية غير وارد أبدا .

ولذلك فان من المهم جدا ـ تحريكيا وسياسيا ـ العمل على تحويل تأثر البعض من الطبقة الفلاحية بالبرجوازية الى ارتباط خصب وموضوعي ومدرك بالطبقة العاملة .

ان تأريخ العمل السياسي في العالم لم يسجل ثورة فلاحية استكملت أهدافها واستلمت السلطة السياسية المستقرة ، بل ان الفلاحين ـ وهذا مسطر تأريخيا ـ كانوا حلفاء سياسيين للطبقة الرائدة ، فهم حلفاء للبرجوازية بعد ان تتبنى وقتيا شعارات فلاحية وتضمن لهم في حالة توافر الديمقراطية البرجوازية تملك الارض التي يحرثونها . ومن ثم يضحون في تأريخ الثورة الاشتراكية ، حلفاء طبيعيين للطبقة العاملة بحكم أنهما الطبقتان الكبيرتان المسحوقتان تحت وطأة الاضطهاد الطبقي . ولان الطبقة العاملة تستطيع مواصلة نضالها حتى النهاية دونما خدعة برجوازية .

البؤرة وسيلة وليست صيغة نهائيا :

ان القوى الاجتماعية للثورة في البلدان ذات الصناعة الثقيلة والتطور التكنولوجي واضحة جدا وتلعب فيها الطبقة العاملة في المدن دورا ثوريا كبيرا

اذا توفرت القيادة السياسية الكفوءة . ومتى ما تبلورت الطبقة العاملة بشكل بارز وكقوة تمتلك كل المؤهلات الثورية فان الاعتماد على البؤر الثورية خارج المدينة يكون في الدرجة الثانية . ان الطبقة العاملة (الالمانية) و (الفرنسية) و (الاميركية) و (الانكليزية) قادرة على التخطيط للثورة الاشتراكية دون استغناء عن حلفائها ، بحيث يكون هذا النضال السياسي عريضا يشل حرية البرجوازية وحركتها لساعة التفجير الاشتراكي ، وان وجدت (البؤر الثورية) - وهي ضرورية أيضا - فستكون كأجنحة للعمل الثوري الذى تمارسه الطبقة العاملة في المدن .

أما في المناطق المتطورة حديثا ، ودول العالم الثالث (آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية) فان الطبقة العاملة مسؤولة تأريخيا عن قيادة النضال السياسي ، ولكن هذا لا يعني الاصرار على ذلك حرفيا . ان النضال لا يمكن أبدا أن يخضع لافتراضات أو تعليمات خارجية من حيث أن المعارك تحدد أبطالها الحقيقيين .

ان العمال لم يتجسدوا كقوة طبقية صدامية قادرة على تحطيم البرجوازية في داخل المدن ، لذا فان تصعيد القتال التحرري ونقله الى الريف وتوليد البؤر الثورية المشعة والتى تضايق الاعداء وتحاصرهم وتفقدهم رباطة جأشهم ، انما هو تأكيد لعدم جدوى التحجر فى أساليب معينة . وبالمقابل فان البعض من اليساريين التقليديين يتصدون لهذه المرونة الثورية المعطاة بحكم شروط الوضع الطبقي والعالمي ويصرون على قيادة النضال الاسمي من المدينة وحتى لو كان ذلك سلميا . وبالتالى فانهم أشاعوا اسلوب المعايشات السلمية مع الاعداء الطبقيين وأعادوا للاذهان الروح البرلمانية واللاثورية التى رفعتها الاحزاب الاشتراكية اليمنية منذ (الاممية الثانية) وحتى الان .

ان من الضروري أن ندرك أن حرب (البؤر الثورية) قد لا تكون عناصرها الرائدة عمالية كليا ، أو أن الاكثرية من العمال ، فميدان الثورة يسحب من ينشد الثورة ولكن مع ذلك فان نضالها يؤدي المهمة العمالية ويأخذ أعباءها على عاتقه . فكما أخذت (الطبقة العاملة) على عاتقها تنفيذ مرحلة (الديموقراطية البرجوازية) في ثورات عديدة - مرحليا - فكذلك يستطيع الثوريون أن يسهموا في تصعيد الكفاح المسلح الذى يرتبط بالعمال غاية ونتيجة

بأي اسلوب ثوري ومهما تكن الاداة الاجتماعية الثورية . وبذا فان دخول الفلاحين في العمليات الثورية كقوة كبيرة انما يعطي للعمل الثوري أبعادا جديدة وغنية . لان الفلاحين الثوريين يستطيعون أن ينقلوا الثورة الى ما وراء المستحيل اذا توفرت القيادة الثورية الواعية لسلسلة الحركات الطبقية والصعود الثوري في العالم . لقد استطاع الفلاحون ، بفعل القيادة السياسية الواعية ، أن يطوروا الحركة الثورية في (الصين) و (فيتنام) و (كوريا) كنموذج لامكانية الفلاح الثورية النشطة ، ولم يكن هناك بند نظري مقدس يصر على العمل في المدينة فقط .

ان طبيعة البلد وقدرة القوى الثورية فيه وطبيعة العدو وأبعاد النضال هي وحدها التي تقرر ساحة المعارك الثورية . فالمسألة ليست مسألة (المدينة) أو (الريف) بل هي مسألة العمل الثوري الذي يختار رقعته التي توفر له حرية أكثر . وباستقراء بسيط للحركات الثورية في العالم الثالث يجب الاشادة بعمل (البؤر الثورية) المتكامل بشكل يغني النضال البشري ويوسع الافق السياسي للثورة ، دون أن يتحول أيضا الى صيغة نهائية في النضال ، لانه يظل مجرد اسلوب تختاره الثورة ومن حق الثورة أن ترسم وتغير أساليبها .

سمات المثقف الثوري

ان النظر الى المثقفين كطبقة ذات خصائص مميزة أصبح علامة تشير الى البؤس التحليلي وغياب الوعي العلمي من حيث أن الطبقة ليست صنفا أو تجمعا ثقافيا أو دينيا أو اجتماعيا . بل ان الطبقة هي مجموعة كبرى من أفراد تجمعهم علاقات واضحة ومحددة ومتشابهة بالنسبة لوسائل الانتاج . وبذلك يكون للطبقة أساس مادي مكين يتجوهر ببروز في علاقات تتشكل حول الفعل الاقتصادي . ولذا فنحن عندما نقول بأن (البروليتاريا) طبقة لا نعني بذلك المواصفات الشكلية والتجمعية ، وانما نعني وضعها كأفراد تجمعهم ظاهرة المنتج الفعال والاجير الذي لا يمتلك فعليا وسائل الانتاج ، مع ما يترتب على ذلك من اضافات وعلائق اجتماعية معينة . أي اننا ندرك ، عبر الفعاليات الاقتصادية ، لماذا يشكل الفلاحون طبقة ، وكذلك البورجوازيون ، في حين أن القضايا الفكرية أو السايكولوجية أو التعاطفات الاجتماعية لا تصح أن تكون الاساس الموضوعي الذي تتركز حوله الطبقة . وبالنسبة للمثقفين ، وعلى أثر الاستحداثات الميكانيكية والتكنولوجية الفائقة الاهمية ، والتي ارتبطت بتنامي القدرات الرأسمالية ، فقد تحولوا الى مجاميع بادية للعيان . أي أن غياب الانتاج البضاعي البسيط والحرفي وحلول الصناعة الثقيلة والتطور الالي أدى الى اشاعة الثقافة وتعاظم أهمية العقل وتوكيد العلم كقوة كبرى تتحصن بواسطتها الامتيازات الرأسمالية . ولذلك أضحى من نافل القول اعتبار الانطلاقة الثقافية مرهونة بانسحاب ظلال النظام الاقطاعي وبزوغ البرجوازية .

وبقدر ما يحتفل المجتمع بتدشينات صناعية ومالية وفنية كبرى يزداد عدد

المثقفين ويتحولون الى كم قد يوهم بأبعاد طبقية • ولكن هل يكون هذا الكم مرتبطا بشروط محددة كتلك التى تشد الفلاحين الى الارض أو العمال الى الالة ؟ طبعا لا • اذ أن هذا الكم ، على تميزه بالامكانيات الثقافية ، يظل حاويا على تباينات وفوارق جدية تحتمها طبيعة كل مثقف والبعد الثقافي له مع نوعية عمله فهناك العامل المثقف وهناك البرجوازي المثقف وهناك المثالي وهناك المادي • هذه التباينات الجذرية تلغي وجود الجسر الذى تنشأ حوله الطبقة ، ففي حين تكون الاسس المادية لنشوء الطبقات أشبه بقدر قانوني متشابه محليا وعالميا تكون العلاقات الثقافية تشكيلا فوقيا متأثرا بالاساس • مع العلم بأن نشوء الطبقات يمتلك الامتداد التأريخي كخطوط بيانية توغل في صلب التأريخ في حين أن قضايا الفكر تأتي بالدرجة الثانية • ومعنى ذلك أن كون الطبقات هي الاساسيات الاولى يجعل الثقافة والمثقفين يتحركون ضمن المجالات الطبقية • ولهذا ينتفي تماما وجود (مثقف حيادي) حيث لا ثقافة حيادية أبدا • ولان البرجوازية عمقت الفوارق الطبقية بشكل بين وحيث أنها خلقت استقطابا اجتماعيا متقابلا فانها كيما تطور شروطها المعطاة فرضت على المثقف انحيازا صارما وشجبت الحيادية الثقافية كافتراض لا واقعي • أي أن الحدية التي تؤطر الامكانية الثقافية ميزت المثقف الاشتراكي عن المنظر البرجوازي بتعارض صلب حتمته التعارضات الحدية والمتقابلة بين المستغلين ـ بكسر الغين ـ والمستغلين ـ بفتح الغين • ولذلك نجد عند أي استقراء علمي بسيط أن المجتمعات الاقطاعية أو شبه الاقطاعية قد تزخر بمتعلمين كخليط مشوش تقريبا ـ له جذره الطبقي طبعا ـ في حين أن المجتمعات البرجوازية تفرض على هذا الوسط المشوش انفراقا يتأتى من تحدد ووضوح هوية المثقف • وبذلك يعكس الانقسام الطبقي الحاد نفسه على المثقفين بأكثر من السابق جلاء •

وفي مجتمعنا العربي الذى يعيش المخاض والذى يقدم عينات اقتصادية واجتماعية من البنية الاقطاعية ، والبنية شبه الاقطاعية وشبه البرجوازية نستطيع أن نلمس ثلاث فصائل من المثقفين : فهناك المثقفون البرجوازيون ، وهؤلاء يدافعون عن مسائل معينة حسب درجاتهم ، وحسب تخوفهم من المراقبة الشعبية وباسلوب يتراوح بين التصريح والتلميح • فمنهم من يتحدث عن

المحافظة أو الاغتراف النهائي من القديم ، ومنهم من يتكلم عن الاعتدال ، ومنهم من يتكلم عن أزلية النظام الرأسمالي وخرافة الافقار ، ومنهم من يرفع شعارات انسلم الطبقي والمصالحات وخطر الثورات واحلال الصيغ البرلمانية في النضال .. الخ . ويحيط الفكر البرجوازي عند هؤلاء المنظور المثالي الذى يحسنون استعماله عند خلق بلبلة فكرية قد تكون ممثرة بالنسبة لهم . ولا مانع من تسخير الفكر الاشتراكي المحرف من قبل البعض للتصدي لليسار باسم اليسار ونسف الثورية باسم الثورية ، وهذا ما يحدث بخطورة بالغة في المجتمعات التى تعيش مقتبل نهوضها حيث تمارس قطاعات معينة تفريغ الفكر الثوري من محتواه والمتاجرة به من أجل امرار البضاعة البرجوازية وزرع اللغم في كتيبة المثقفين الثوريين .

أما الفصيلة الثانية فهي التى تضم المثقفين الثوريين الذين يمتلكون علائم ومميزات خاصة نأتي لها لاحقا . وتظل الفصيلة الثالثة من المثقفين كوسط رجراج يحمل جذورا عديدة ومتفاوتة وهو - أي هذا الوسط - ميال الى التقلص ، وذلك لانه يتجه حتما الى أحد القطبين في الفصيلة الاولى أو في الثانية . وتقلص هذا الوسط وتشرذمه مرهون بالتغيرات العميقة التى يحبل بها المجتمع والتى تجد مرتكزها في تبدلات أدوات الانتاج والقوى المنتجة والعلائق القائمة .

من هو المثقف الثورى ؟

ان تحديد سمات المثقف الثوري أمر بالغ الخطورة لانه الضمانة الوحيدة للحفاظ على الاصالة الثقافية الثورية والكابح الذى يوقف كل عمليات السطو والغزو الايديولوجي السام التى تضخها الهيئات الفكرية للبرجوازية . ونظرا للدور الحيوي الذى يمارسه المثقف فهو مطالب بأن يعي المميزات والخصائص التى يتطور خلالها عبر تربية شاقة تتعهدها المسؤولية النضالية . ومن الجانب الاخر نستطيع أن نرى المكر البرجوازي الذى جند الكثير من عملائه للاندساس في الجانب الثوري حتى يستطيع أن يضرب ضربته في الوقت المناسب وكما حدث في الكثير من الحركات الاشتراكية في العالم وكما يحدث في بداية تفتح

الوعي الاشتراكية في أقطار اسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية .

لذا فان التشديد على سمات المثقف الثوري بمثابة جزء من التصلب الذى تقتضيه طبيعة الدفاع الثوري ، هذا التصلب الذى يعتبر التحصن الكفاحي البالغ الاهمية والذى بامكانه فحسب مقابلة البربرية البرجوازية المتفننة في وسائلها العنفية بعد ادراكها لحقيقة احتضارها القائمة .

ما هى هذه السمات اذن ؟

أولا ـ ان المثقف هو من استوعب الفكر الاشتراكي العلمي استيعابا حقيقيا كاملا بحيث تأهل لان يحتاز الايديولوجية الثورية كمرشد ودليل نظري للعمل . وهذا الاستيعاب لا يعني فحسب هضم كل مسائل الفكر الثوري العالمي وانما يعني أيضا تطويع قوى المثقف ذهنيا وسايكولوجيا وجسديا وبشل وظيفي تام الالتزام وقادر على التطور باستمرار ، بما يضم ذلك من اجتثاث للجذور التقليدية وأفكار العادة ورواسب الحياة والتربية البدائية عبر العمل الثوري والتجربة الثورية بحيث يكون الاستيعاب جزءا من المغامرة المشروعة .

ثانيا ـ ان الاقتصار على الغذاء الفكري الذى قدمه الرواد الاشتراكيون ليس من صفات المثقف الثوري . فالثوري مطالب بالاستفادة من كل القضايا الفكرية التي قدمها المفكرون . أي انه مطالب بدراسة الفكر المثلى والفكر المادي القديم والاطلاع على النتاج الثقافي للبرجوازية . ومن خلال الدراسة الناقدة والنظرة الثاقبة التى يتسم بها الثوري المثقف يستطيع أن يزيل الاغلفة ويعطي للفكر رأسه الحقيقي تماما كما فعل (ماركس) مع ديالكتيك (هيغل) وكما يفعل (غارودي) ـ في باب اخر ـ في دراساته القديمة (عن ابن خلدون مثلا) .

ان المثقف الثوري مسؤول عن كل قضايا الفكر في العالم ، وان الاستنكاف عن مطالعة أو دراسة المسائل الفكرية المختلفة انما هو دليل على أن هذا المثقف قد كف عن كونه ثوريا مثقفا وأباح لنفسه أن يتكلس في شرنقته

الذهبية ليخط وثيقة نهايته .

ثالثا ـ ان المثقف الثوري يمتلك صلات روحية بالشعب . وبهذه الصلات يكون هذا المثقف تمليذا ومعلما ، جنديا ورائدا ، لا يبتعد أمام الشعب ـ في المقدمة ـ كثيرا ولا يتلاشى في وسطه ، بل انه معه باستمرار ، يوجهه دون أن يتعالى عليه ، ويتواضع دون أن يذوب . ان المثقف الثوري يذهب الى المصنع والحقل والجبل والمرعى والمقهى والشارع لانه صاحب رسالة ، وهذه الرسالة لا تصدر أبدا من مكتب أو مذياع ، انها معايشة يومية مخلصة مستمرة التجدد . وعن طريق هذه المعايشة يستطيع المثقف أن ينقي نفسه باستمرار ، لان الشعب مهما كان بسيطا فهو المربي العظيم . ترى ألا نستطيع أن نحكم على اولئك الذين يمضغون علكة اليسارية والثورية بشراهة وهم مسمرون على مقاعدهم العتيدة ؟

رابعا ـ أخلاقية المثقف الثوري لصيقة بمقتضيات النشاطات الثورية . ولكن هذه الاخلاقية لا تخرج عن المدى الاساسي الذى يملك روح الرائد وهذا المدى هو الحب المتعاظم للانسان . وأخلاقية المثقف تتحدد بانشداد النظرية الى العمل . وبدون العمل الثوري لا يوجد فكر ثوري ، لان الفكر حينئذ يتقزم كمصطلحات وعبارات تستظهر بسخف وعبث . وبالنسبة لواقعنا العربي ولطبيعة المهمات الواجبة علينا فان أخلاقية المثقف تستلزم منه أن يكون مشدودا بأعمال المقاومة العربية المجيدة في فلسطين المحتلة مع كل ما يقتضيه هذا الانشداد من عمل وبذل ونكران ذات . ولقد كان للطواف المقدس الذى عانقه الملاح الثوري (غيفارا) من أجل القضية ، ولدخول المثقف (دوبريه) قلب القضية ، حصيلة هائلة فرضت على المثقف العربي الاستعداد الكلي لحمل البندقية مع الكلمة ..

ان أخلاقية الثوري هي ، وبالضبط ، أخلاقية العمل الطوعي من أجل الشعب ، هذا العمل الفدائي غير المنقطع مع ما يحيط به من أروع المثل الاخلاقية وأكثرها شرفا . وبذلك فقط لا يمكن ولن يمكن أبدا للمثقف الثوري أن يسقط أمام الاغراء لان معادلته الوحيدة هي (هو القضية والقضية هو) .

خامسا ـ بالنسبة لهذه السمات المذكورة لا تتسلل الواحدة بعد الاخرى ولا يكتسبها المثقف شيئا بعد شيء • انها كلها متداخلة في سمة واحدة • ومن الغباء تماما القول : الدراسة أولا ثم الاخلاص للشعب ثانيا • فالدراسة تمتزج بالاخلاص بشكل حقيقي ، بحيث يغتني الواحد بالاخر وبحيث يكون تطور المثقف متناميا باستمرار عبر كل هذه السمات •

متى ينتمي المثقف الثوري ؟

ان كل مثقف في العالم هو صاحب قضية • وهذه القضية لا بد أن تنحاز وتضاف الى التراكمات الموزعة على الجبهات الطبقية • ولما كان تأريخ العالم هو سلسلة من الصراعات الطبقية فان المثقف مشدود فعلا الى هذه الصراعات بحيث ترتبط تطلعاته بوعي أو بلا وعي بتطلعات طبقة معينة • ان المثقف البرجوازي مثلا يعي تماما انضواءه وايديولوجيته ، وكذلك المثقف الاشتراكي • ولكن هناك مجموعة من المثقفين لا تتحدث اطلاقا عن الانتماءات الطبقية ، فهي تصور نفسها وكأنها منفلتة من كل الرابطات القائمة لتتحدث عن (الفكر الصافي) أو عن (الوجود والماهية) أو تستغرق في مسائل جد قديمة •• الخ • هذه المجموعة من المثقفين قد لا تعي دورها الطبقي أو أنها تنكره أصلا ، لكنها ومهما تفعل لا بد أن تكون في تحصيل الحاصل مدموغة بالهوية الطبقية • وذلك لا يكشفه الا النقد العلمي في الايدلوجيا السياسية ، فليس شرطا أن يخون المثقف البرجوازي برجوازيته ويعلن تنصله منها ليضحي اشتراكيا أو غير برجوازي ، وليس شرطا أن يتحدث المثقف بمصطلحات ومقولات اشتراكية حتى يسمى اشتراكيا • وكذلك وعند تسليط الاضاءة النقدية الموجهة تبدو لنا خرافة ما يسمى بالمثقف الانساني في عصر الاحتدامات الطبقية ، من حيث أن الانسانية المطلقة غير متوفرة في مثل هذا العصر ، لماذا ؟ لان الفهم الانساني الحقيقي يقود الى التزام القوى البشرية المظلومة وبالتالى يدعو الى اعلان الحرب ضد المجموعات (البشرية) المعادية للانسان • ان طبيعة العصر القاسية فرضت وجود انسانين (مذنب كبير وبرىء كبير) ولذا تكون (الانسانية المطلقة) غير واردة • فهناك (الانسانية البرجوازية) التي ترتكز على مقولاتها الخاصة والتي

تلتزم الانسان سطحيا . وهناك (الانسانية الثورية) ، انسانية الاشتراكيين التي تلتزم الطبقات الكادحة والمسحوقة . أما النوع الانساني (الشمولي) أو (المثالي) فهو ينضاف في النهاية الى نوع ما : برجوازي أو اشتراكي . لذا فمن الممكن أن تظل مفاهيم (الانسانية المطلقة) أو (الديمقراطية المطلقة) ، مجرد تسميات لا وجود فعليا لها في عالم الغليان والانفجارات الطبقية والثورية ، انها من الممكن أن تجد معناها في مرحلة واحدة هي المرحلة اللاطبقية ، أي عندما تنتهي كل أشكال الاستغلال .

وبالنسبة للمثقف الثوري لا يتزيى بالمصطلحات العامة وغير المحدودة (الانسانية ، الخير السعادة ، المساواة .. الخ) بل ان منطلقاته الفكرية واضحة ودقيقة وغير معرضة للتأويل أو الازدواج . انها المنطلقات التي تحدد مسارها مع حركة التأريخ الصاعدة ، انها انسانية في حدود تحطيم الاشكال الانسانية المتهرئة والمعادية للتطور والحرية ، وهي تأريخية لانها تعطي للتأريخ قوة رياضية بعد ازاحة كل المعوقات التي فرضها العدوانيون على بناة المجتمعات الناهضة من الشغيلة والكادحين .

وحيث ان المثقف الثوري واضح الانتماء ، ويعارضه بالمقابل المثقف البرجوازي ، وكل واحد من الطرفين مسلح بمواده الثقافية الخاصة ، لا بد أن نؤكد أن الثقافة لا تنحصر في المجالات الطبقية فحسب . فهناك فوق الفكر البرجوازي والفكر الاشتراكي فكر عالمي فكر انساني ، هذا الفكر الذي يعزز الابداعات العلمية أو سواها . فليس اذن كل ما تمنحه البرجوازية من خلق فكري هو برجوازي مرفوض ، ان هذا خطأ كبير ، اذ ان هناك بين البرجوازيين والاشتراكيين قاسما مشتركا فكريا ينتهل منه الجميع ، وبعد ذلك يتم تمثيله وتحويله من قبل كل طرف ليدعم به مكانته ووضعه التأريخي . أي ان انتمائية المثقف تفرض نفسها بشكل سافر لتحول الفكر العالمي وتفسره لصالحها في النهاية .

ومن خلال كل ما تبين نستطيع أن ندرك عمق المهام المطروحة على المثقف الثوري الغربي . انه لا يجابه فقط عدوانا خارجيا تقوم به زمر

صهيونية وأمبريالية ، بحيث يعلن ميلاد ثوريته الجديدة . ان هذه المهام المتشعبة تدعوه الى احاطة كاملة بأبعاد القضية العربية .

ما حركتها الداخلية ؟ وما هو التقسيم الطبقي داخل الامة ؟ وما العلاقة بين حركة الامة العربية الذاتية وبين التطورات العالمية ؟ .. الى اخر ما يفترض طرقه من مسائل حيوية حتى يستطيع أن يكون المثقف العربي بمستوى انتمائه ومتطلبات ذلك الانتماء .

ان التطورات المعاصرة تستلزم من المثقف العربي أن يتعامل بذكاء مع القضايا الثورية والفكرية الكبرى حتى يستطيع أن يسهم في تكوين ملامح مميزة لثقافة عربية ثورية .

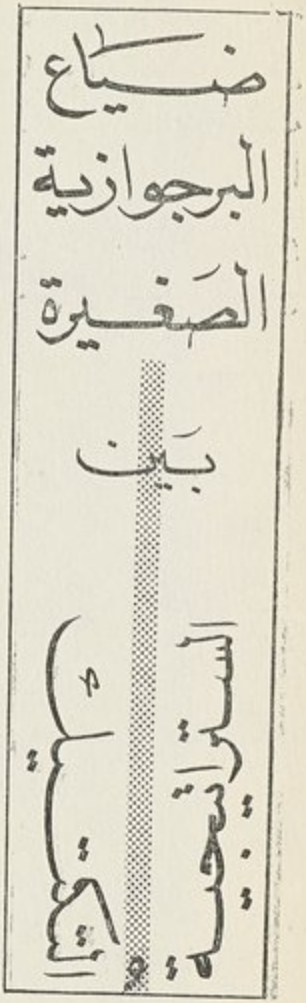

ان أغلب الشروح التي تناولت (موضوع الثورة) العربية بالدرس والتمحيص كانت تتأطر في بدايات ونهايات أكاديمية ، ولذلك ظل مفهوم الثورة العربية يخضع باستمرار لعمليات جذب متعددة ساهمت كلها في اعطاء صور مضللة وغير علمية . ولكن الصدمة التأريخية في (٥ حزيران) أباحت للكثير اعلان نمط جديد في التفكير يكتسي واقعية ثورية جريئة تتضمن حماية المفهوم الحقيقي للثورة .

والثورة العربية ، بحد ذاتها ، عملية تغيير هائلة تضع للمجتمع العربي مقاييس جديدة واسلوبا حياتيا تقدميا . ولذلك فهي :

أولا ـ ثورة حضارية كبرى تدرك أن أية حضارة مستقبلية انما تتجاوز فترات الركود بتمرد واع وجماعي .

ثانيا ـ ليست بأي شكل من الاشكال انقلابا يتناول السطوح والاغلفة بل هي تفجير ضخم يخترق الواقع العربي من العمق حتى الوجه .

ثالثا ـ وهي اذن ، وبحكم الاستقراء العلمي لواقعنا العربي ، ضرورة تقتضيها طبيعة الاحتدامات في صلب مجتمعنا ، وجواب لكل التناقضات القائمة . ونظرا للمسافات الشاسعة بين طبيعة التملك الفردي الاستثماري المحتكر بشكليه الزراعي والصناعي وبين العلاقات الاجتماعية بين قوى الشغيلة وفصائل الكادحين (الفاعلين الحقيقيين والمأجورين) فان الثورة العربية حل لهذا التناقض دون أي مناص .

رابعا ـ والضرورة في قيام الثورة العربية هي شرعة تأريخية ثورية من

حيث أن التأريخ يستكمل نفسه عن طريق الثورات البشرية التقدمية (الثورات قاطره التأريخ) • ومثلما تحدث الانتفاضات الثورية الضرورية في مواقع اخرى من العالم ، فان العالم العربي تنسحب عليه هذه اعملية التأريخية •

خامسا ـ ولذا فالثورة العربية تكشفت كواقع ثوري تحريكي وايديولوجي • ولكن هذا الواقع لا زال يحاول تلمس بداياته العلمية الحقيقية ويوطد بعد ذاك أساسه المكين حتى تتهيأ له سرا قدرة التحرك المزدوجة ، أي التلقائية والمصممة •

نظرة عامة

ان النظر الموضوعي للواقع العربي يكشف حقيقة التطور غير المتناسق للمجتمع العربي • فالمجتمع العربي يمثل (اسلوب الانتاج الاسيوي) مع تداخل المراحل الاجتماعية دون وجود حدود بارزة تسيج التكوينات القائمة[1] فاننا اذ نجد أن المجتمع الاميركي أو الانكليزي أو الفرنسي كطراز مكشوف من البناءات الرأسمالية التي تأسست منذ زمن بعيد وبانتظام تأريخي على أشلاء العهد الاقطاعي المنتهي زمنيا ، نرى أن المجتمع العربي لا زال يحمل بصورة واضحة تعددا في النظم الاقتصادية والاجتماعية • اذ أن هنالك المجاميع البدوية التي تمتزج فيها (المشاعية البدائية) و (الرق) • وهنالك مجتمعات (القنانة) والسيادة الاقطاعية • كما أن هنالك (الرأسمالية التجارية والصناعية المتطورة) ••• الخ •

وكل هذه المجاميع هي الخلفية الحقيقية للورائية التي لا زال يستغرق

---

(١) الاسلوب الاسيوى فى الانتاج مفهوم طرحه (كارل ماركس) فى مسودة بحث فى عام ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨ عن أساليب الانتاج فيما قبل الرأسمالية • وهو فى هذا المفهوم يقدم تفسيرا لسقوط الامبراطورية الرومانية وعن تطور المجتمع الصينى وحول اختلاف ذلك عن تطور مجتمعات البحر المتوسط الغربية •• الخ • وقد أدان مؤتمر لينينغراد المنعقد فى عام ١٩٣١ الاسلوب الاسيوى وذلك لانه يعنى تهديم (المراحل) الخمس في تطور المجتمعات البشرية مما يؤدى الى تخلخل فى الوعى العقائدى •• الخ • الاقتباس من موضوع للمفكر (مكسيم رودنسون) بهذا الخصوص نشرته مجلة (الهلال) عام ١٩٦٦ ـ يوليه •

فيها المجتمع العربي . فحتى الان لم تتم تصفية بينة في نماذج التشكيلات الاجتماعية والاقتصادية البدائية . ولذا فان سلسلة التطور الحضاري تبدو وكأنها متقطعة لانه لم تتوفر انتقالات حضارية بارزة ، بل ظلت قدما المجتمع العربي تراوحان في مراحل أولى في حين انه يتطلع الى مستقبل جديد بذهنية اليسار الغربي .

ومن المعلوم ان هنالك عينات للوضع المذكور حاليا . ومنها عينات اقتصادية تبدو جلية في عدة أشكال : الاشتراك في الممتلكات كما هو حاصل عند بعض القبائل البدوية بوضع مشاعي . والاسترقاق وعلائق (السادة والعبيد) في مجتمعات الحكم الرسمي المتطور عن الوضع البدوي . والعلائق الاقطاعية في المجتمعات التى تتحقق فيها الممارسة الفعلية للاستحواذ الاقطاعي . والانتاج الحرفي والبضاعي البسيط . والحركة التجارية ونشوء البرجوازية في عدة مواقع . وتضخم النشوء البرجوازي بصورة (كومبرادور) وظهور أوليات للاحتكار المنظم .. الخ .

ومنها عينات اجتماعية وتبلور عبر التمايزات الطبقية ، اذ ان المجتمع العربي مجتمع متعدد الطبقات . وحجوم الطبقات ودرجات تطورها تختلف بين قطر واخر ، فهي في (السعودية) غيرها في (الجزائر) وهي في (حضرموت) و (البحرين) غيرها في (العربية المتحدة) ..الخ . واذ تلعب الطبقة الفلاحية دورا رئيسيا في قطر معين تلعب الطبقة البرجوازية دورها القيادي في قطر اخر . وكذا تتهيأ الطبقة العاملة في أمكنة عربية اخرى لتنفيذ مهامها التأريخية كمسؤولة قيادية رائدة . وبذلك فان خريطة الوضع الطبقي في الاقطار العربية تتطلب تبعية سياسية ووضعا سياسيا مختلفا ، اضافة الى ما يجره ذلك من تبدلات علائقية وتغيرات في العادات والتقاليد لا تتشابه كليا في جميع البقاع العربية . وهذا بارز جدا : فالعادات في (المكلا) تختلف عن العادات في (تونس) ، والتقاليد في (البادية) غيرها في (الريف) وغيرها في (المدينة) ، في حين أن (الريف) و (المدينة) في المجتمع العربي هما انقسام اجتماعي كبير بحيث يقال : (هذا مجتمع ريفي) و (ذا مجتمع مدني) . وذلك دليل على تخلف

المجتمع العربي اجتماعيا وعدم اتساق مسيرته الاجتماعية وعدم ترتيب قواها الطبقية الاصلى .

ومنها عينات ثقافية حيث تنتشر (الامية) في مناطق عربية عديدة ، في حين يتحدث مثقف ما في (بغداد) أو (بيروت) بمنطق غربي استكمل بواعثه التكنولوجية والعلمية .وحيث تصدر أوامر بتحريم (الفكر) و (حرية الرأي) في أقطار عربية معينة في حين يمارس المفكر أداء واجباته في أقطار اخرى حيث تمتزج في ذهنية البعض أو العديد من المتعلمين والمثقفين (الايديولوجية التقدمية + الروح العشائرية والغيبية) . وحيث تتلاحم الملاكات (المثالية) و (المادية) دونما تشخيص منهجي محدد . وحيث يجري تفتيت (الثقافة) وتجزيئها غير المبالى حتى تتسارع الالتباسات في توضيح ما هو ثوري وما هو غير ثوري .

وهنالك عينات سياسية تتعين في وجود أحزاب ومنظمات متعددة . فهنالك القوى الرجعية والمحافظة واليمنية ، وهنالك القوى التقدمية واليسارية . وهذه القوى بمجموعها تعيش اختلافاتها الستراتيجية والتكتيكية وتعاني أزمات متباينة . ولما كانت القوى الرجعية تعبيرا من أزمة القوى المتنفذة كقوى منهارة ، فان القوى التقدمية التى تعكس شروط التطور العربي وتنضجها عمليا ، خضعت لتأثيرات عديدة تعاونت على نحو أو اخر على تذييل الكثير من التوهجات الثورية .

ان هذه العينات كلها تقرر الحقيقة التالية : ان المجتمع العربي يعيش في أقل ما يستوجب بكثير ، أي انه لم يحتل حلقته ومساحته الحضارية المعاصرة . وبين هذا التخلف وبين اللهاث وراء سرعة العصر تبرز أفكار عديدة وتموت اخرى .

ومعنى ذلك ان المجتمع العربي يحيا بشكل مكشوف تناقضين : التناقض الاول يعتمل بحرارة في أحشائه ـ بين ما هو بدائي وما هو معاصر ، بين ما هو تقليدي وما هو محدث ، بين ما هو هرم جدا وبين ما هو وليد جدا . أما التناقض الثاني فبينه ككل وبين القرن العشرين ، أي بين امة مجزأة وبين عالم

تتماسك ثوراته وانتفاضاته العلمية والاجتماعية والايديولوجية • والثورة العربية هي الضرورة المسؤولة عن حل هذين التناقضين •

وكيف تحل الثورة هذين التناقضين ؟

الحق ان الامكانية بحل التناقض الخارجي لا تتهيأ الا بعد التوصل الى حلول واقعية للتناقض الداخلي • وحلول التناقض الداخلي تعتمد على أساسيات بالغة الاهمية وحاسمة هي :

أولا ـ ان الحلول ينبغي أن لا تكون قطرية فحسب أي انها حلول على مستوى قومي • وعندما تتأكد نقطة الحلول على مستوى قومي يجب أن لا يغيب عن البال أمران • الاول هو عدم اغفال الجوانب القطرية تعمدا تحت شعار المبالغة في دحر الاقليمية ، بل تولى القضايا القطرية حيويتها الخاصة ضمن الاطار القومي • والثاني هو عدم الاستغراق في التفصيلات القطرية والوقوف عندها فقط بحيث تمسخ صورة الامة نهائيا فذلك جفاء عن العلم والحقيقة التأريخية • ومن ثم فهو أمر غير عملي اطلاقا •

وعلى هذا الاساس يدخل شعار (الوحدة العربية) لا كشعار خيار بل كحتمية تاريخية تواجه الانفكاك •

ثانيا ـ ان الحلول الاقتصادية للواقع العربي المجزأ والمتعدد السمات لا يمكن أن تتوافر الا عن طريق واحد هو طريق تجاوز كل المراحل السابقة الاشتراكية (من رق الى اقطاع الى رأسمالية) • وهذا التجاوز حصل تأريخيا عاشته أغلب شعوب العالم وتعيشه باصرار • لانه كفيل بالغاء كل العبوديات المتعددة الاشكال • ولما كانت جميع الاقطار العربية تنسحق تحت وطأة استعباد اقتصادي داخلي ، فمن الضرورة اطلاق حرية الانسان العربي اقتصاديا ليمارس مسؤولية مباشرة ازاء واقعه • والاشتراكية العلمية لكونها مرشدا نظريا في العمل والتغير ، تستطيع أن تتكفل باحداث التحولات المنشودة • ولكن يتبادر السؤال التالي : هل الانتقال الى الاشتراكية يتم حرفيا هكذا وفي أي قطر عربي ؟ الواقع ان هذا السؤال لا يمكن الاجابة عليه بواسطة تحمس أيديولوجي أو فورة

(اشتراكية) لان العالم لم يشهد ولن يشهد انتقالا مباشرا من الاقطاع أو الرق الى الاشتراكية .

ولهذا فان لكل قطر عربي أن يستن طريقه العملي للانتقال الى الاشتراكية دون افتراضات مذهبية أو تجريبية . وهذا التعدد في طرق الانتقال الى الاشتراكية يتكافل بين قطر عربي واخر بشكل متلازم ومتلاحم ، بحيث ان أي (اشتراكية أي قطر عربي) لا تكون اشتراكية حقا ما لم تساهم عمليا في انضاج الشروط الاشتراكية في القطر الاخر .

ثالثا ـ ان هذه الحلول الداخلية لا تتوفق الا بعد الازالة الكاملة للعبوديات المفروضه من الخارج . أي بعد سلخ كل السيطرات الامبريالية أو الكولونيالية عن الجسد العربي حتى تتواجد للانسان العربي ظروفه التي يمتلك فيها حرية التصرف والارادة والاختيار لتنشئة غده .

رابعا ـ تظل كل هاتيك المسائل التقدمية معرضة لاختناقات وتوقفات عسيرة شائكة ما لم تبادر الى خلق مناخ الغسل الديموقراطي . فالديمقراطية عندما تظهر كأسلوب وعلاقة بين القوى التقدمية المختلفة فمعنى ذلك انغراس نبتات المستقبل الحقيقية المرادة .

والاختلاف بين القوى التقدمية ولبناتها التى تشكل أساسها الطبقي ، وكذا اختلافها ايديولوجيا أو تكتيكيا هو طبيعي تماما ، لانه يعكس التعدد في المراتب الطبقية . فاضافة الى التقسيمات الطبقية العامة تخرج بين حين واخر مراتب وأشكال طبقية داخل الطبقة الواحدة نفسها . وحيث أن المسؤولية الثورية عن الواقع العربي لا تستلزم بحزب واحد أو بقوة واحدة فان التعايش الديمقراطي الجبهوي بين القوى التقدمية في داخل القطر العربي الواحد أو بين قطر واخر هو الطريق المأمون الذى يضمن للثورة العربية اجتيازا مفتوحا شديد الفعالية .

وبعد أن يتم انجاز رئيسي لمواصفات المجتمع العربي الافضل نستطيع ـ كأمة عربية ـ أن نتحدث عن مقولة « توينبي » في (التحدي الحضاري) . وهذه المقولة اعتنقها بعض السياسيين القوميين العرب على أساس أنها تنتظر دفعا تاريخيا للامة العربية . والواقع ان مسألة (التحدي الحضاري) لا نستطيع أن ندخل فيها كطرف يتكافأ مع الخارج . أي اننا ومن خلال عملية

التحدي لا نستطيع أن نصمد بأسلحتنا السابقة . ولذا فمن المحتمل أن (التحدي الحضاري) بالنسبة لنا انما يستعمل كاثارة لعاطفة كبيرة يمكن اكتسابها وقتيا للحصول على انضمامات تأتيدية واسعة . ولكن عندما تنتهي العاطفة وتسقط البراقع يتضح مدى الواقع المهلهل الذى تفرضه علينا الزعامات التقليدية .

وعندما نتساءل : متى يحق لنا أن نكون طرفا في التحدي الحضاري ، طرفا حقيقيا متكافئا مضمون الانتصار ؟ فالجواب في أن ذلك لا يكون الا عند ميلاد المجتمع العربي التقدمي الحقيقي . ففي هذا الميلاد نتحدى كل عالم البطش والعبودية والاستغلال ، فنحن نعرف أن (روسيا القيصرية) لم تدخل التحدي الحضاري بشكل ساطع ولكنها دخلته وبكامل استعداداتها الحضارية بعد ثورة اكتوبر . وكذلك مجتمعنا العربي لا يدخل التحدي كند وطرف مساو باقطاعيه ورجعيه وجلاوزة السياسات الرجعية والانتهازية والعميلة فيه . انه يستعد للدخول ويدخل فعلا عندما تومض في العيون العربية شعاعات شمس الحرية والاشتراكية . وحينذاك تحل المعادلة وكل المعادلات من صالحنا وصالح البشرية .

والمعادلة الاولى التي تستوجب الكلام هي اننا في الامس وفي اليوم تفرض علينا التحديات ، وكل أجوبتنا ازاءها خافتة أو محدودة أو وقتية . لكننا في الغد نريد أن نمسك المقود فتفرض امتنا وجماهيرنا التحديات ضد أعداء البشرية . وهذا الانتقال هو الذى يخول لنا التحدث عن صفة التحدي الحضاري لا عنه بشكله الاطلاقي . ان ثلاثة أرباع الجماهير العربية اليوم لا تساهم في وضع تأريخها ، ولذا فهي تجهل أصلا كل التحديات . لقد تربت هذه الجماهير وتحت ظل مخدرات عديدة تربية غير مسؤولة عصريا وعالميا . أي انها توقفت ضمن رقعة متطلباتها اليومية . أما الان فان علينا أن نرفض ذلك . فالتحدي الحضاري ليس لغة المثقفين أو السياسيين بل يجب أن يتحول الى لغة تتحدث بها كل الجماهير العربية . والجماهير لا تتحدث الا بعد أن تثقف ، ولا تثقف الا بعد أن تقاوم الجوع ، الا بعد أن تتحرر في الداخل . وبعد ذلك يكون جوابها شخصيا .

واقع الثورة العربية فى تنفيذ مهامها :

ان الحركات الثورية الكبرى التى أودت بالحكم الملكي والنظم الرجعية والعميلة في مصر والعراق وسوريا والجزائر واليمن أكدت بزوغ فجر ثوري جديد على الامة العربية . والرابطة التى تشد ثورة في قطر معين بالثورة في القطر العربي الاخر توضح بما لا يدع مجالا للجدال أن الثورة العربية كل مترابط يرسم أبعاده الثورية في مرتكزات انتفاضية حتى يعم التيار الثوري الاشتراكي العربي جميع المساحات الجغرافية المجزأة تحت التسمية القومية العربية .

ولكن هذه الثورة التى تتحمل مسؤولية خلق الوطن العربي الحر والانسان العربي المتحرر تعرضت للنقد ، وهذا شيء ايجابي جدا بالنسبة للثورات . لانه بالنقد تتقوم الحركات الثورية وتتصلب . ومبررات النقد عديدة . فهنالك المد الرجعي والطائفي والعشائري على نطاق أقطار عربية عديدة رسميا أو شعبيا . وهنالك الجيوب الاستعمارية التى تتمثل بأشكال مختلفة من الصلات . فالتحركات الاستعمارية في شبه الجزيرة العربية لا تزال تعكس مظاهر (الاستعمار القديم) وماجريات الاحداث في بعض الاقطار العربية لا تزال تشير الى أكثر من أصبع استعماري يدير سياسة (البلد) ! . كما أن هنالك المد الصهيوني الذى ابتدأ كاستعمار استيطاني محكوم عليه مسبقا بالفشل ولكنه وعكس التوقعات استطاع أن يلحق بالارض المحتلة أراضي اخرى جديدة . ان ذلك كله يؤكد أن أسهم الثورة المضادة لا تزال رائجة وذات قدرة (عصرية) على العمل .

ومن الطبيعي اننا عندما نتحدث عن الثورة العربية لا نعني بذلك كثيرا من أخطاء الحركات الثورية ، وهي بذلك تحول هذه الاخطاء الى نقاط قوة بالنسبة لها . ولذا فان سمة الوضع السياسي في الربع الثالث من القرن العشرين ان تراجعات وانحرافات بعض القوى الثورية في العالم ، أعطت الفرص للامبرياليين وزمرهم لحقن أنفسهم بمصل الفتوة ، وبذا أنجزوا بعض المكتسبات واستطاعوا فرض خنادات مؤقتة على معسكر الثورة . ولذا فالسؤال

الان هو : ما الخطأ الذى جعل الثورة العربية غير موفقة ـ نوعا ما ـ في تحقيق مهامها المباشرة ؟

ومن الطبيعي اننا عندما نتحدث عن الثورة العربية لا نعني بذلك الحركات العفوية للجماهير العربية بل ان النقد يتطلب الجواب من خلال التركيب الايديولوجي والطبقي للقوى السياسية التقدمية في الاقطار العربية • وهذا التركيب ـ اجمالا ـ يؤكد انتساب أغلب التيارات التقدمية الى معسكر البرجوازية الصغيرة ، سواء أكان هذا الانتساب أيديولوجيا أو طبقيا • وان المرحلة التي ينشط فيها دور البرجوازية الصغيرة هي المرحلة الانتقالية (شبه الاقطاعية ـ شبه البورجوازية) وتكون هذه القوى البورجوازية الصغيرة ثورية بحكم تمردها على العبوديات الاقطاعية وبحكم تطلعاتها التجديدية • ولذلك توفر ما يلي من مضاعفات :

أولا ـ اختلفت (النظرية الثورية المتمكنة على الممارسة الثورية الفعالة ، وحل محلها الفكر البرجوازي الصغير الذى ينزع الى (اليمينية) تارة والى (المغامرة « اليسارية ») تارة اخرى ، ويتردد بين الاصلاحية والراديكالية والنقابية ، وينأى عن الرؤية الثورية الصحيحة •

ثانيا ـ غياب الدور الفعلي للجماهير العربية الكادحة • فالطبقة العاملة لم تواتها فرصة احتلال مكانتها الجديرة بها ، والطبقة الفلاحية ظلت شبه مجمدة وشبه معزولة عن تأريخها • ولذلك دخلت ميدان القيادة قوى اخرى قد تنتسب الى الكادحين أحيانا وأحيانا اخرى يظل ذلك الانتساب شكليا • وأغرقت التنظيمات السياسية بعناصر البورجوازية الصغيرة وتناقضاتها الحادة •

ثالثا ـ فرضت البورجوازية الصغيرة أخلاقيتها الازدواجية التي تجمع الشتيتين : الدفاع عن قيم تقدمية اشتراكية من جهة وبوسائل بورجوازية من جهة اخرى • وبذا نمت في الجو العربي نوعيات غريبة من عقليات المناورة والديماغوجية والوصولية والتوفيقية و (الشانتاج السياسي) • وكثرت وسائل البطش والتنكيل وانتشر الاغتيال وتحولت الديمقراطية في العمل السياسي الى نزعة ارهابية • وحدثت مثل هذه الحساسيات والاختلافات بين قطر عربي

متحرر واخر • وبذلك توفر للعـــدو الصهيوني والامبريالى وسط صـــالح للتخريب والتآمر بغية الاطاحة بالانظمة التقدمية الحـــاكمة • اذ أن تمـــزق الجبهات التقدمية في داخل الاقطار العربية وكذلك انعكاس ذلك على الجبهـــة التقدمية العربية المفترضة هو تهيئة ثمينة يطمح لها أعداء الشعب العربي لامرار مؤامراتهم وتسهيل الطريق أمام الخصوم الخـارجيين لامة العرب وحضـــارة العـــرب •

ضياع البرجوازية الصغيرة بين الستراتيجية والتاكتيك :

ان البورجوازية الصغيرة لا تمتلك افقها الستراتيجي وذلك بحكم كونهـا ذات وجود ذاتي محدود • فوقتية البورجوازية الصغيرة متأتية من كونها البداية الاولية للنشوء البورجوازي ، وهي على هذا الاساس ليست طبقة ثانية محـددة بل هي مرتبة من المراتب الطبقية تنحصر بين بنيتها الاجتماعية المضغوطة وبـين ايمانائها المختلفة • ولذلك فهي لا تستطيع أن تحدد ستراتيجية ثورية مشهودة، لان الستراتيجية كخط رئيسي يحيط بالمرحلة ويستقطب كل شعاراتها لا يمكن توفرها عند فئة طبقية قلقة من حيث أن القلق وجوديا لا يمتلك المكنة عـــلى تحديد رواسخ شديدة الضرورة والوجوب • أما من ناحية (التكتيك) فـأن البورجوازية الصغيرة تبرع في هذه المسألة • فهي بحكم دهائها اليومي وقـوة حاسة الشم لديها ووعيها بمصلحتها تضع تكتيكات جيدة • ولكن نجاح هـــذه التكتيكات اذا تحقق نجاح طارىء ، لان التكتيكات الجيدة تتعرض الى التفليش الحتمي اذا لم ترتبط بستراتيجية مشرقة • ومن هنا تبدو مهارة البورجوازيـة الصغيرة في المناورات والالعاب السياسية • ولما كانت الثورة العربية ثـورة ذات طاقة مستمرة وديمومة متفجرة ، فهي بحاجة الى تعيين شعاراتها الستراتيجيـة الكبرى • وهذه الشعارات الستراتيجية تتعـلق بالمراحل التى تعيش المســائل الاستراتيجية بالنسبة لها في تعتيم واضطراب • ولقد كان واقعا أن البورجوازية الصغيرة تقود الى سلسلة من الاعمـال الانهزاميـــة ، وهي اذ تتحدث كـــأي (يساري) مغرم لا يهمها أن ترتكب أشد الاعمال يمينية • فعلى نطـاق القوى التقدمية كان مفعول البورجوازية الصغيرة واضحا جدا ، فحيث أن من الواجب

التوصل الى لقاءات مثمرة بين هذه القوى ـ على اعتبار انها مشتركة في تخطيطاتها الستراتيجية ولوجود عدو خطير على الابواب (الصهيونية) ـ نجد انها ظلت تلوك الخلافات القديمة أو تفعل ما فعلته (بنلوب) لطرد عشاقها ، تنسج نهارا وتحل النسيج ليلا ، ويولسيس لا زال في الغيب ! وبديهي أن ذلك السلوك مشتق من ترسانة الاخلاقية البورجوازية الصغيرة التى تعتبر كل تصرفاتها وسلوكيتها ولقاءاتها مجرد تكتيكات • وحيث تجهض الستراتيجية بتحويلها الى تكتيك فانه يصعب الاتفاق على أبسط المسائل •

ان البورجوازية نفسها قوة ثورية ـ من موظفين الى عسكريين ثوريين الى حرفيين وكسبة صغار •• الخ ـ ولكنها لا تستطيع قيادة الجماهير • بل انها فقط تتمكن من تأدية واجباتها الثورية في العمل تحت قيادة الطبقة العاملة وحليفها المباشر والامين ، الفلاحين • وهي اذ تنضوي تحت لواء العمل الثوري ، انما تتربى وتستطيع أن تقذف بجذورها وبقايا تأثير قوة الاعتيادات القديمة الى البحر • وبذلك تتحرك مسيرة الثورة العربية بثقة لانها اذ تتحسن قواها الاصيلة كما وكيفا وتستقطب حولها جماهيرها الحقيقية بقيادة الطلائع الكفاحية الصامدة لا تجد صعوبة في تعيين افقها الستراتيجي وأقواس عملها افقيا وعموديا • ويكون أي انجاز لها في أية رقعة عربية هو جزء من سلسلة الاعمال المضادة للصهيونية والامبريالية • فمهمة الثورة العربية اليوم ليست اذن في رفض البورجوازية الصغيرة كمجموعة ثورية مهمة بل في ازاحتها فقط عن القيادة لتتحول الى حليف ثوري • ومتى انجزت تلك المهمة فان امورا وتغيرات كثيرة يترتب على كل التنظيمات العربية التقدمية الاخلاد لها •

الفدائيون طليعة من طلائع الثورة العربية :

ان انبثاق الحركة الفدائية في الارض المحتلة أكد قدرة الجماهير العربية على تحرير أرضها أو أكد أن الانسان العربي قادر على تخطيط وسائله الثورية لمجابهة أعدائه الحقيقيين • وهذا الانبثاق يعكس تحولات هامة في الكيفية النضالية للجماهير العربية • لقد كانت النظرة العربية التقليدية ـ السائدة ـ تعتمد على فكرة الجيوش النظامية التى تقوم بعملية التحرير كفكرة وحيدة

رسميا • وبما أن تحركات الجيوش العربية مرهونة بأوامر واشارات الحكومات العربية المتباينة فقد ظهر للوجود رسميا أن الشعب العربي في فلسطين والأرض المحتلة في (٥ حزيران) لا يمكن أن يمارس دوره الحقيقي ، علما بأن هذه الممارسة طبيعية وقديمة ، ولكنها لم تعن بذلك الشكل الذى يكفل لها النمو والتطور من قبل بعض الحكومات العربية • وبمعنى اخر تأكد أن أي انتظار لموقف بعض الحكومات العربية انما يجعل من هذه القضية الخطيرة قضية مؤجلة • ولذلك فقد انبثقت الممارسة الثورية بشكل جلي رائع يتعدى حدوده وأبعاده القومية الى الدرجة العالمية • وكما أن الحركات الثورية في العالم تبلورت في طرز مختلفة من نوعيات النضال وقدمت حركات مشرقة في المقاومة كحركات (الجويريللا) وفرق (البارتيزان) ، أو الانصار ، وفرق (الماكي) وفرق (الكوماندو) وحركات التحرير العديدة ، فان الثورة العربية قدمت هذا النموذج المدهش من المقاومة • وبتقديمها هذا النموذج ارهصت لتغير جديد وايجابي في تسلك الثورة العربية • اذ أن المعال والفلاحين والجنود وكل الفصائل الثورية المخلصة دخلت خطوط النار ووضعت البرجوازية الصغيرة على المحك • فأمام حقيقة المعركة تنتفي وتتهاوى كل أشكال التردد والذعر • وهذا الطابع المسلح العنيف الذى تقوم به قطاعات شعبية ثورية صلبة والذى يعزز نفسه بالنظرية الثورية والتجارب الثورية الكبرى في العالم هو اغناء للثورة العربية ودفع لها لانه يتناول النضال الامامي ضد أعتى عدو للشعب العربي – الصهيونية – وهو بتكافله وتلاحمه مع نضالات الجماهير العربية في أقطارها يحقق انجازات ثورية تعجل في استيلاد المجتمع العربي التقدمي الاشتراكي •

وقد اتخذت الجماهير منذ البدء موقفا حازما في دعم العمل الفدائي وتغذيته باستمرار ، وأدانت بجرأة كل المواقف السلبية أو التشكيكية بالقدرة الثورية عند الفدائيين العرب • فالحركة الفدائية اذن في الارض المحتلة هي عينة جيدة من عينات الثورة العربية الكبرى • وقد نضجت خلالها كل المبادىء الثورية في التحرر والوحدة والاشتراكية والديمقراطية وتجاوزت كل

التناقضات الحاصلة بين القوى التقدمية العربية واعلنت أن الثورة لن تكون بأوامر واجراءات رسمية يقوم بها موظفون أو مكتبيون أو متحدثون لبقون أو أحزاب برلمانية أو مخدرة بنشوة الكسب الذاتي بل هي ثورة الشعب حيث تحمل فصائله الطليعية السلاح وتقاتل بعزم من أجل حريتها وشرف عيشها •

وان العالم لا بد أن يشهد الثورة العربية كحقيقة قائمة تغني النضال العالمي من أجل الحرية • ومهام هذه الثورة تتوزع على جبهتين : ففي الداخل يجري تطهير جدي للواقع العربي من كل الفئات المأجورة والمعادية لمطامح الشعب المشروعة • وفي الخارج تتمثل في دحر الامبرياليين ودعم كل الحركات الوطنية والتحررية في العالم • وعبر هذه الملحمة تتفتح أعين العالم على الثورة العربية كارتياد لمواطن حضارة عربية تقدمية جديدة •

مسألة الشعارات
ومقتضيات الظرف الراهن

ان من المؤكد أن النكسة قد دفعتنا لاتخاذ موقف نقدي جريء يستهدف اعادة النظر بكثير من المسائل وتسليط الضوء على الجوانب المعتمة والسلبية والمنحرفة في نطاق حياتنا الايديولوجي والسياسي • وهذه العملية ـ عملية اعادة النظر ـ هي غربلة كلية للمجاميع السياسية والمواقف والاشخاص ، وهي لا تعني بأي حال الانفلات من حالتنا غير الصحية قبل النكسة الى حالة غير صحية اخرى • بل انها تعني تشخيص عوامل الفشل والمرض والتخلف الحضاري لاجتثاثها نهائيا وزرع عوامل نشوء ثورية تحل محلها في الجسم العربي •

ومن اولى المسائل التى تولى الاهتمام الواعي الناقد مسألة (الشعارات) • اذ انها تشكل التسمية المحلية والعالمية لطبيعة الحركة الثورية ومجابتها للتحديات الخارجية الضخمة المدعومة بأحدث الامكانيات العلمية والتقنية والجسدية • فالشعارات عنوان للحركة وهي اسلوب وغاية ، ومن خلالها فحسب تتبدى مناعة أو ضعف تلك الحركة ، لذلك فلا بد من دراسة جدية مستأنية يقوم بها الثوريون لتحديد طبيعة الشعارات ومرحلتها وحيويتها • والشعار هو تعبير مكثف يبلور الضرورة أو الممكنات الابداعية البناءة ، أو بمعنى اخر هو تلخيص ذكي ومركز وشديد الايجاز يستقطب مجموعة التطلعات والغايات والمشاريع قياسا مع المرحلة الزمنية المعنية • وهناك شعارات اجتماعية وشعارات اقتصادية وشعارات ثقافية • غير أن ما يهمنا الان الشعارات السياسية على اعتبار

انها تمثل جوهر قضيتنا الراهنة • والشعارات السياسية لا يمكن أن تطرح بلامبالاة أو بكل سهولة لانها ان طرحت هكذا فانما تقود الى منزلقات خطيرة من المحتمل أن تودي بمستقبل شعب أو جماعة • وانطلاقا من فهم حتمية المنزلق الذى ينتظر التعثرات المضطربة في اعلان الشعار لا بد من الاحاطة والالتزام بجملة من الشروط المدركة من خلال التجارب الثورية والتفقه النظري عند الحركات الثورية العديدة في هذا العالم •

فأولا : الشعار ليس مسألة حسية أو حدسية لذا فهو لا يخضع للانفعال أو التنبؤ بل هو أداة عقلية لا يرفعها الا اولئك الذين يمتلكون رصيدا فكريا ضخما ووعيا تأريخيا ناضجا • ومن هذه النقطة بالذات نستطيع اعتبار كل كل الشعارات الانفعالية لغة عصابية مدمرة لا يمكن أن يغفر لدعاتها أبدا •

ثانيا : ان كون الشعار أداة عقلية هو نصف الموضوع الذى لا يستغني عن النصف الاخر : (الممارسة) • فالشعار لا يمكن أن يرسم من قبل النظريين الايولوجيين الذين يعيشون انعزالا عن العمل الثوري • لان (النظري) ينظر نظرة وحيدة الطرف وجانبية • أما النظرة الكلية ، نظرة الاحاطة فلا تتوفر الا عند من يقرن النظرية الثورية بالتطبيق الثوري • فهذا هو وحده الذى يمتلك النظرة الجدلية التي تستطيع شد الفكرة بالعمل حيث تتصلب الفكرة من خلال العمل فيتبلور الشعار ، وحيث يسترشد العمل بالفكر فينبثق الشعار مرة اخرى ويتم التوالد في الشعارات حسب مقتضيات الوضع والتغيرات الكمية التي تتفاقم عند اللحظة الحرجة •

ثالثا : والشعار لكونه يمثل دورا تحويليا خطيرا أو مشيئة ثورية جريئة أو ارهاصا بتبدلات معينة لا يمكن أن يكون مقصورا على الهيئات القيادية العليا بل ينبغي أن يناقش من قبل القواعد والهيئات المتفرعة من الكيانات السياسية ، فذلك يعطي للشعار أهميته الجماهيرية كما وان الشعار يتجرد من الفعالية التأريخية ان لم يمر بالجماهير صانعة الثورات • ويستثنى من ذلك في الحالات القصوى التخطيطات السرية المهيأة من قبل القيادات عند المباغتة وقطع الطريق أمام التوقعات ، وتلك تمثل الشعارات المحدودة ذات الخاصية السرية جدا

(كالتي ينبغي أن تكون متوفرة عند القيادات العسكرية الثورية في استعداداتها ضد الصهاينة والامبرياليين حاليا) .

هذه الشروط الثلاثة مفهومة مبدئيا لضمان وجود مشرعين أكفاء للشعارات . والان ننتقل الى الشروط التى تخص الشعار نفسه ، أي ما يرتبط بطبيعته وثقله وقدرته .

أولا : الشعار هو نتاج فهم جدلى لطبيعة الاحتدامات والتناقضات القائمة . وهو كعمل غائي لا بد أن يعتمد على استقراء حازم ومشخص لكل مسارات الحركة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بحيث يكون الشعار التتمة الطبيعية (والضرورية) للوضع الانى . أي أن الشعار يرفع نفسه . وهذه النقطة مهمة جدا وأرجو أن لا تفسر بكونها دعوة الى العفوية الاستسلامية والانتظارية الاتكالية . بل هي بالضبط تضمين لحقيقة التفجير . فالشعار مرتبط بالحركة الداخلية للمجتمع ولا يمكنه أبدا أن يتخطاها بشكل اعتباطي . ومتى ما كان الشعار غير ناضج وليس جوابا على للاحتدامات القائمة فانه يظل مجرد لغو تهريجي تترتب عليه أضرار معينة . الشعار اذن الجواب الوحيد للتشابكات والتحركات الكمية في المجال السياسي والاجتماعي ... الخ . وفقط يكون الشعار تحريكيا ومحولا اذا كان يمثل النفي لما هو قائم ، بحيث يكون هذا النفي هو النفي المنتظر والمطلوب والذى لا يعجز عن توليد (النتيجة المركبة) . ولذا فشعار (الهجوم على اسرائيل) تقتضيه طبيعة وضعنا القومي كمسلوبين . ولكنه يظل شعارا انفعاليا ان لم تتهيأ له كل الامكانيات العربية بحيث تصر نفس الامكانيات تلك على الشعار . هذا الشعار مثلا شعار طبيعي ولكن طبيعته مرهونة بالامكانية المسلحة والتخطيط الثوري . ولكن لنأت الان على شعار اخر لاطبيعي تماما هو شعار (الاشتراكية في اليمن مثلا) هذا الشعار قد يكون شعارا مستقبليا ولكنه ليس انيا على الاطلاق . لماذا ؟ لان ظروف المجتمع اليماني البدائية (التقسيمات والتقاليد القبلية الحصينة) تجعل من السخف الظن بأن اليمن انتقلت الى (الاشتراكية) بقدرة قادر على أثر حركة عسكرية . وان النقلة السريعة والسحرية من مجتمع عبودي الى مجتمع اشتراكي هي أمر غير وارد

ابدا • المهم أن الشعار ـ أي شعار ـ هو انبثاق عن تعارضات مدركة بوضوح حيث يقدم الجواب المنتظر علميا بدون قفز على العلم والاستقراءات التأريخية الجدلية • ولذا فان أزمة أغلب الحركات القومية العربية هي أزمة شعارات •

ثانيا : الشعار المرفوع يعتمد ميعاده الزمني بدقة سياسية وتاريخية • وهذا الميعاد الزمني مرتبط تماما بمراحل ودرجات العمل الثوري فلا يجوز رفع شعار بالمهمة الثانية في حين أن المهمة الاولى لم تنجز • والذى يقف بينه وبين التلة جدول لا يستطيع أن يرفع شعار كيفية صعود التلة بل عليه أولا أن يعبر الجدول • ولهذا فتنظيم الشعارات هو عمل سياسي من ناحية المرحلة التأريخية وظروف العمل المستجدة والعوائق القائمة وامكانية دعاة الشعار أنفسهم • وبذا يكون ترتيب الشعارات بضبط واع مسألة الزامية تماما في عالم النضال • ولذا فشعار (جبهة عربية واحدة ضد العدو) لا تتوفر له مستلزمات الفاعلية ما لم يتم انجاز الشعار الذي يسبقه وهو شعار (الجبهة الداخلية) ـ في كل قطر عربي طبعا ـ •

ثالثا : وهذا الميعاد الزمني للشعار يأخذ أهميته القصوى في حالتين أيضا يتمثل فيهما عدم التوقيت • الحالة الاولى عندما يرفع الشعار بعد انتهاء مرحلته الموجبة كأن ترفع فئة سياسية مثلا وباصرار شعار (تطبيق الاصلاح الزراعي) في بلد يتم فيه مثلا هذا التطبيق • هنا يفقد الشعار أهميته ويكون اجترارا تافها وانسحابا وراء الاحداث لذا فالقوة السياسية التي تطرح شعارا لا داعي له ـ حيث هناك من هو جاد في انجازه فعلا ـ هي قوة متخلفة وهزيلة لا تستطيع بأي حال أن تكون طليعية ومهما ادعت ذلك • وهذه الشعارات وما يقاربها ـ اعتدالا ـ (علاوة على أن الصمت هو نفسه شعار متخلف) هي الشعارات التى تمثل العقلية اليمنية المنحرفة •

أما الحالة الثانية فهي عندما يرفع الشعار قبل مرحلته الزمنية الضرورية بفترة من الزمن • (انوه بأن الميعاد الزمني في البندين الثاني والثالث هو مزيج الزمن والحدث والامكانية) • كأن يرفع شعار (القتال المسلح) في حين أن القوة التى ترفع الشعار لا تمتلك سلاحا • أو كأن يرفع شعار (ضرب اسرائيل

فورا) في حين لم تستكمل شروط الوحدة الهجومية (مثلا) • ومثل هذه الشعارات السابقة لساعة النضج هي دليل (العقلية المتطرفة انحرافا الى أقصى اليسار) • وباستطاعتنا أن نترصد الشعارات اليسارية غير المنحرفة عبر الوعي الايديولوجي المتكامل عقائديا والذى تنبثق منه شعارات ثورية رائعة (مثل : العمل الفدائي ، والمجابهة الصلدة للصهاينة ، والانجازات الثورية الداخلية ، والمواقف العالمية الايجابية ••• الخ •) فمثل هذه الشعارات وليدة القدرة النضالية والايمان العقائدي لذلك فهي ليست وقتية أو مراوغة أو استلابية القصد منها ابتزاز الوعي الجماهيري •

رابعا : الشعارات تأخذ أشكالا عديدة فهناك شعارات وقتية وشعارات مرحلية وشعارات كبرى ، فمنها ما يقتصر على مدى قريب ومحدود ومنها ما يشمل مدى أبعد وأوسع• لذلك ينبغي انتظام تلك الشعارات بوحدة متكافلة متناغمه بحيث تكون الشعارات الانية وذات المدى القريب مرتبطة بالشعارات الكبرى كروافد لها • وعندما تنفقد العلاقة العضوية والحركية بين الشعارات المرحلية وبين الشعارات الكبرى (الشمولية) في حركة سياسية معينة ينتاب هذه الحركة فقر يعرضها الى تمزقات حادة • وكم من المجاميع السياسية ذات الرصيد الجماهيري المحترم وقعت صريعة ارتباك وفوضى شعاراتها فوقعت في انتكاس عزلها عن شروطها التأريخية فاضطرت للاستسلام أو لجأت لوسائل ميكافيللية أو ارهابية عدمية • والشعارات الشمولية غالبا ما تكون مثالية نوعا ما لانها تبتدىء من تطلعات خيالية تستعين بالعلم بقدر محدود ولذلك فهي لا تعني شيئا بالنسبة للجماهير التى تنظر برؤية صادقة الى المواقف المعاشة والشعارات الوقتيه ومدى تطبيقها • ونظرة بسيطة تكفي لتوضيح أن (الاشتراكية) هي شعار كل القوى السياسية القومية والوطنية والديمقراطية تقريبا • ولكن هذا الشعار بهذه الكيفية الشمولية والاطلاقية يعني أن لا اشتراكية هنالك ما لم يقدم الدليل الثوري تلو الدليل مؤكدا للجماهير ـ عبر الشعارات الوقتية والمرحلية المتطورة ـ الجدية في الدعوة الاشتراكية •

خامسا : حيث ان الحركات الثورية تمتاز بكونها تملك الرؤية الكاشفة

التي تختار طريقها عبر الالف التشابكات ، فهي حركات لا تعيش حالة سكونية حارئة أبدا • ان مسيرتها الحيوية تجعلها في تلاحم ضد شروط الاعاقة وعناق مع شروط النمو • ومن هنا ومن خلال الممارسة الفعالة تبرز الشعارات بنوعين : فهناك شعاراتها الستراتيجية وهي الشعارات التي لا تمس بعد اقرار سيغتها • وهذه الشعارات ترتبط بالبعد المرحلي الاكثر مدى وهي على العموم صدى وعلامات تحدد الطريق الثوري وبدونها كل التحركات والافعال عشواء وغبية • وهناك الشعارات التاكتيكية وهذه الشعارات تحدد الاسلوب الثوري وتضمن اذلال الوسيلة للامكانية • والحركة العربية الثورية وبحكم الظروف التي استجدت بعد النكسة بحاجة ماسة الى الشعارات التكتيكية لان هذه الشعارات تحقق أولا انضاج الوعي واكتمال التدريب والاستعداد للمواجهة الحاسمة • وثانيا تشاغل الاعداء وتضعفهم في مجالات متعددة وتحرم رؤيتهم من اكتشاف ما يجري في عالمنا العربي•

سادسا : حيث ان الشعار لا يجتاز الواقع الا اذا كان منطلقا من فهم رصين للواقع نفسه فان الحركة السياسية الصحية لا تتخلى عن شعاراتها بسهولة • ان صلابة الشعار هو دليل سلامة الرؤية ودليل حصانة وقوة تلك الحركة • هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المرونة في تبديل الشعارات في حالة عدم تكافؤها مع المرحلة والظروف القائمة أو المستجدة دون اصرار على تبني الشعار الكسيح وغير المجدي هو نفسه دليل اخر على الصحة الروحية للحركة • والمبالغة في هاتين الجهتين هو ارتكاس • وهذا الارتكاس كثيرا ما عاشته القوى السياسية العربية (في الداخل) فالمبالغة في صلابة الشعار وعدم جواز تغييره بأي حال من الاحوال ومهما استجدت الظروف مما يميز الانحراف اليساري الذى اختار الشعار والنص قبل أن يتلمس طبيعة التبدلات في البنى الاجتماعية والسياسية • والمبالغة في تبديل الشعارات وتغييرها بكل بساطة وسرعة هو دليل القلق السياسى والانحراف اليميني الذى يسمح للظروف بتشكيله دون أى جهد ارادى وايجابي للتدخل في حركة ومسيرة الاشياء • ومن هذا الاساس قلنا ان اعلان الشعارات هو وبحد ذاته علم سياسي خطير لا يقدم الا الكيميائيون اسياسيون المزودون بالخبرة الواسعة •

والذى جاء ذكره الان حول طبيعة وخاصية الشعار ليس كاملا بل انه ناقص سلفا لان مسألة الشعارمسألة دقيقة تحتاج في رسمها الى وضع اليد على كثير من الاستنتاجات والمحصلات المنخرطة في دعم العمل الهادف ، كما وان الشعار نفسه ليس بحثا مدرسيا يقدم بهذا الشكل الموجز من حيث ان الشعار هو لغة سرية بين الطليعة والتأريخ تصادق عليها الجماهير من خلال الاسهامات العملية والنشاطات التى تترجم الشعار الى واقع فعلى محسوس .

ولكن هناك مسألة مهمة جدا تكتسب أهميتها من طبيعة التعقيدات السياسية الموجودة . ففي الوقت الذى تحدتنا الصهيونية بقوى موحدة توحيدا كاملا بحيث تكبدنا خسائر فادحة ، بقيت القوى السياسية الداخلية ترفع شعار الاتحادات الجبهوية دون أن تقدم شيئا فعليا في ذلك . أوليس شعار الجميع هو المواجهة الموحدة ضد الصهاينة والامبرياليين ؟ اذن فلماذا لا نحس ببوادر هذا التوحد أو الاتحاد ـ والذى ينبغي أن يتم بدون قيد أو شرط ـ بين الفئات السياسية ؟ أوليس من حق الجماهير العربية أن تتهم بعض الاحزاب والاطراف السياسية وتدمغها بالادانة بعد الذى لاحظته منها ؟ وهل هناك من تهمة أصدق من تهمة كون بعض القوى والاطراف السياسية ليست في مستوى مهامها ان لم تكن تريد أن تجعل من القضية العربية الكبرى مجرد ميدان تستغله لنشاطها الفئوي ؟ ان الشعارات واحدة وان لم تكن واحدة (من حيث الخلاف في البداية وفي التكتيك) فهي لا بد أن تلتقي حول نواة شعارية تحوز الاهتمامات السياسية الى فلكها. فالشعار يقتدر على دمج الكثير من الفئات ويعطي الفرصة للمتأخر أن يلتحق وللمتقدم أن ينتظر ما دام على الساحل مرفأ واحد كلنا نروم الوصول اليه . ولكن الفاجع أن الشعارات (الميالة لاخر درجات التركيز أصلا) بدأت تتكاثر وتغزو الصحف والمجلات والنشرات فكأنها موضة الموسم . وعندما تكون المسألة بهذا الشكل : أي رفع شعارات بدون مسؤولية ثورية ، بل وبكل انفعالية أو بقصر نظر وبدون تجربة سياسية عريقة، فمعنى ذلك ان ثمة لعبة خطرة في الامر .

ان قضيتنا الراهنة قضية صمود شعبنا العربي ضد التحديات الاستعمارية

والصهيونية تستوجب تركيز الشعارات نفسها بحيث تظل محصورة في تطلع ونشدان شعبنا بدوره ومكانته التحررية والتقدمية وازالته للسطو اللاتأريخي القائم • والقوى الطليعية مسؤولة عن هذه المهمة من خلال طريق واحد هو طريق العمل الثوري الموحد والفعال الذي يقطع الطريق أمام كل الشعارات الزائفة والرنانة والمحتالة • وأكيدا أن الحقيقة تطغى بشعاراتها على كل ما يرتسم في سماء العرب من علامات سوداء باغية !

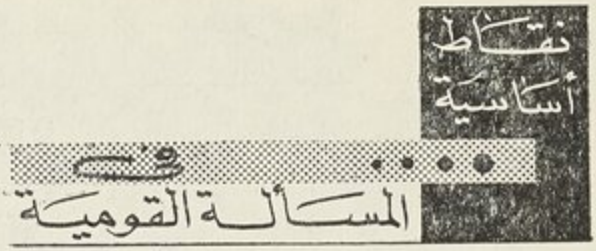

تحتل المسألة القومية مكانة بارزة بين مسائل النضال البشري المعاصر توجب أن تولى المسألة القومية كل الاهتمامات الفكرية والتعبوية بغية توفير أبعاد علمية حقيقية لحركتها . وفي الواقع ـ على النطاق العربي ـ برز تياران ضاران عرقلا بشكل بارز تصاعد النضال الجماهيري وساهما في احباط الحركة القومية في عدة مواقع . ولذا فنحن مطالبون بتشخيص هذين التيارين وازالة تأثيرهما على الحركة العربية مع ما يعلق بذلك من ترسبات وملامح . ما هما هذان التياران ؟

التيار الاول : هو التيار الذي اعتنق دعاته القضية القومية اعتناقا لا علميا حيث تحولت هذه القضية الى مجموعة ايمانات نهائية لا تقبل المناقشة العقلية ، فكان أن تجردت القضية عند أصحاب التيار من محتواها الحقيقي وافعمت بشعارات سريعة مرتجلة لا أرضية لها . وكان أن حلت النزعات الزاعقة بدل التروي في تثبيت الشعارات وأصبحت (القومية) لديهم شيئا فوق الجماهير وفوق الواقع وبالتالي قطعوا عنها جذورها الفعلية كوجود يعكس تطورية مجموعة بشرية كبرى ـ الامة العربية ـ .

ان هذا التيار المدلس في مناخ من التحمسات المهتاجة قد قاد في عدة أحوال الى انحرافات خطيرة لا ينتفع منها الا الاستعماريون والفاشست . فعن طريق نصق نداءات : (نار ، تحرر ، ثار ... الخ) انزلقت بعض القوى القومية

المخلصة الى اختيار تمزق الامة واحلال التناحر الداخلي كبديل منسحق ومضاد (للعزة العربية) وبرز في الميدان اسلوب ارهابي يوشك أن يتحول الى أسياف تثقب صدر (الامة) من الداخل قبل أن يكون واجبه اعلاء الاهمية الحضارية للامة العربية عالميا وواقعيا . ويبدو أن هذا التيار قد تعرض لتيارات عالمية أقوى فعلا وأثرا . وفرضت عليه الظروف العسيرة التي تحاصر تاريخنا العربي الى تبني طريقة جديدة في الحركة والوعي مع نبذ القشرة الضارة التي تدخر في أعماقها غلوا عنصريا . فقد تأكد بوضوح أن (الاعتقادات القومية الاسمية والعاطفية) لا توصل أبدا الى مرفأ ، وانها ليست الا امتدادا للعصبية القبلية التي تعتبر أخطر الاخطار على جسم الامة . وفيما عدا انبثاق لون سياسي صغير يتشخصن تحت لافتة (القومية المختارة) تولدت من رحم هذا التيار اتجاهات جيدة تربط بشكل موفق بين (القومية) و (الاممية) وبين (القومية) و (الحركات التحررية العالمية) وتحت تسمية القومية الانسانية .

أما التيار الثاني : فهو التيار الذي ألغى في حسابه الحركة القومية ولم يمتلك الرؤية الثورية الحقيقية التي يستطيع من خلالها فهم الابعاد القومية انهامة . وهذا التيار المنتسب الى الحركة التقدمية أخفق في تطوير أساليبه في العمل السياسي لكونه انتكس أيديولوجيا باحتفاظه بمفاهيم ضالة عن القومية . ولذلك ففي الوقت الذي يجري فيه في الجهة المقابلة خط قومي متعصب لا يدرك الحدود العالمية للقومية كان يجري بالنسبة لهذا التيار اصرار على احتضان شعار (الاممية) ونبذ (القومية) دونما مفهوم علمي وارد يتقاضون به . وكانت الحجة التي يلجأ لها جماعة التيار الثاني هي أن (القومية) تكوين برجوازي وان أية حركة قومية هي حركة برجوازية . ولا يدري أحد من أية مقولة أو نص علمي استطاعت هذه الجماعة أن تستنبط هذه الحجة . نعم أن البرجوازية ، وفي فترة نشوئها الاولى ، ترفع شعار (الامة) كواجب ضد (الاقطاعيات) ـ الامم داخل الامة ! ـ وذلك لتمكين نفسها من استلام مواقع السيطرة والنفوذ . وترفع شعار الحركة القومية كجزء من برنامجها التقدمي وقبل أن تتجه اتجاها رجعيا . ولكن هل أن هذا يعني حياد الكادحين ؟ أي هل

أن أوسع الجماهير العربية تتوقف عن نضالها لأخذ الراية من يد البرجوازية وتحويل الشعارات القومية الى شعارات تخصها هي ؟ وهل يعني نضوج الحركة القومية في المرحلة البرجوازية أن الحركة أضحت ملكا ثابتا للبرجوازية ؟ أم أن هذه الحساسية ازاء القومية مبعثها التفكير المبكر جدا في المرحلة الاخيرة ما بعد الاشتراكية حضاريا وعالميا ؟

المهم أن التيار الثاني أيضا ، وبفعل ضغط الظروف الواقعية وما توفر من اشكالات محرجة عديدة ، قد تولد في أحشائه تيار توصل الى مفهومات حقيقية واعية عن القضية القومية ، وظلت هناك شتات هجينة لا تدرك أبدا التوفيق بين النظرية وشروط الواقع القائم ، فباتت تتحدث انها ـ احتمالا ـ تتحرك ضمن مخطط خارجي بوعي منها أو بدون وعي .

ان الكشف عن هذين التيارين والتخلص من أحكامهما وروابطهما أضحى ضرورة لازمة لبلورة الوعي القومي بشكله المعاصر والعلمي .

ومن مدلولات الوعي العلمي القومي ما يلي من نقاط أساسية :

أولا ـ مسألة الحل الصحيح للعلاقة بين الامة والطبقات : عندما حاولت البرجوازية العربية الناشئة تنشيط الحركة القومية وامتطاءها انما كان ذلك منها أمرا طبيعيا . فالبرجوازية في سعيها من أجل تثبيت مرتكزاتها الاقتصادية كانت ميالة لخلق اتحادات مصلحية خاصة ، لذلك تولد شعار (الامة) من خلال حركة الاسواق بالنسبة للبرجوازية وبقدر ما يتحول الشعار القومي الى عائق ينكر مصلحة البرجوازية كانت البرجوازية تنفض هذا الشعار بسهولة . ان البرجوازية عندما تتحدث عن (الامة العربية) مثلا كانت تعني توحيد نفسها واحتكاراتها ومجموعة مصالحها ضمن الاطر القومية ، أي أن مصلحتها الطبقية كانت تستحوذ على الوعي القومي وتحرفه . ومن جملة ما تدخله البرجوازية من تنظيرات تحريفية ادعاؤها أن الامة لا تتأثر بالصراع الطبقي . أو أن على الصراع الطبقي أن يختفي من أجل وحدة الامة . ويبدو أن طلبا كهذا يائس تماما لانه لا أمل أبدا في التخلص من واقعية الصراع الطبقي ما دامت البرجوازية تعيش تأريخها (المجيد !) . ان وحدة الامة لا تكون أبدا وحدة المستغلين

(بكسر الغين) والمستغلين (بفتح الغين) • وبالنسبة لأمتنا العربية حيث خانت البرجوازية قضاياها وتطلعاتها الاساسية تتكشف في داخلها عن منطقين : المنطق الاول منطق السيطرة الطبقية والاستغلال ، أي منطق الطبقات المتحكمة والمكتنزة عن طريق الربح الحرام : فائض القيمة ، السخرة ، الاتاوات ، الربا •• الخ • والمنطق الثاني منطق المحرومين والكادحين • واذ لا وحدة بين هذين المنطقين يكون الخيار اجباريا ولا مفر منه : أي منطق تلتزمه الامة ويلتزم هو ـ حقيقة ـ الامة ؟ الاستغلاليون يلتزمون الامة بقدر ما تدر لهم من أرباح ، وهم على قلتهم محكوم عليهم تأريخيا بالانتهاء • أما الكادحون فهم جماهير الامة العربية الحقيقية • فالامة ليست تشكلا جغرافيا أو تأريخيا ولا تربط نفسها أبدا بقوة زائلة تأريخيا • ان الامة كاطار كبير لا تتوحد الا بفعل القوى البشرية الهائلة والعاملة أي قوى الكادحين والشغيلة والفلاحين ومن يرتبط بهم تأريخيا ومصيريا • لقد كانت خسارة امتنا العربية الجسيمة في (٥ حزيران) متأتية من غياب دور الجماهير ، من غياب دور المحركين والبناة الحقيقيين • لقد فرض فشل البرجوازية الحاكمة مصيرا تعيسا على الامة ـ وطبعا هذا المصير وقتي وزائل ـ وعلى أثر النكسة تعالت أصوات الاتهام ضد البرجوازية التى ينبغي لها أن تتوارى عن القيادة السياسية بفعل الضغط الجماهيري العربي الكبير • ولذا يتضح لنا ان شعار وحدة الامة لا يكون الا بتغليب دور الطبقات الكادحة بشكل أساسي ، وان المحاولات التوفيقية وافتراض الهدنات الطبقية لا يغير من واقع أن الامة هي امة أبنائها الحقيقيين (العمال والفلاحين) ومن يرخص الحياة من أجل القضية القومية هذه • وان مفاهيم (الوحدة الداخلية) و (الهدوء) و (تناسي الصراع) و (الصفاء) هي مفاهيم لا تعني شيئا اذا لم ترتبط بواقع سياسي تقدمي ومن خلفية بناءة • فوحدة الامة ليست وحدة الظالمين والمظلومين بل ان وحدة الامة تتم عبر ازالة متواصلة للغش الداخلى وما يلحق به من مناورات وعفن • وهذا يكون فقط عن طريق اجتثاث قوى الغش الطبقي ، أي القوى التى جعلت شعبنا العربي في المحل الثاني ، في حين كانت تدجن باستمرار أبقارها وكلابها لتشرب وحدها اللبن وتستعدي كلابها لتنهش المعارضة الجماهيرية • ولذلك فان شعار الاشتراكية يتلاحم مع شعار

الوحدة العربية تلاحما وطيدا . وعن طريق هذا التلاحم تكنس كل أشكال العلاقات والشعارات السياسية الغريبة عن واقعنا ومتطلباته كنسا تاما .

ثانيا ـ المسألة الفلاحية جوهر المسألة القومية : ان الفلاحين العرب هم قوة اجتماعية ضخمة . وهذه القوة تمد الامة باستمرار برجال العلم والسلاح والعمل لانها ، بحكم كونها أكبر طبقة اجتماعية ، تدفع بأبنائها في شتى دروب العمل والمساهمة ، ولكن نظرة بسيطة الى واقع الفلاحين العرب يكفي أن تبين لنا ما يلي :

أولا ـ ان الفلاح لا يزال مرتبطا بأتعس قيود القنانة حتى الان وبشكل بدائي في أغلب الامكنة العربية بحيث تبدو علاقاته وكأنها عينة من علاقات وأوضاع الارقاء قديما . وحيث تمت تصفية الاقطاع بشكل عام عالميا فان الاقطاع لا يزال في عالمنا العربي متنفذا بشكل جلي ، مما يحول دون تحرير القوى الفلاحية واطلاق حريتها للعمل الفعال .

ثانيا ـ ولهذا وبفعل تآمر الاقطاع ضد الفلاحين فان الفلاح يعيش جهلا عجيبا مفروضا عليه كقدر .

ثالثا ـ وبفعل هذا القدر المصنوع من رجال الاقطاع تحولت القوى الفلاحية الكبيرة الى همل . أي انها لم تدخل أبدا في تأريخها بل عاشت خارج التأريخ . ولذلك فالمسألة الحاسمة هي : كيف يتم الوصول الى تطابق حقيقي بين تأريخ الامة العربية وبين وجود الفلاحين الذين يشكلون أوسع قسم بشري في هذه الامة ؟

ان بقاءهم هكذا لا في الهامش بل وحتى خارج الهامش ، واغفالهم بهذه الصورة ، انما يعني تمويت قسم كبير من خلايا الجسم العربي ، ولذلك تنتصب أمامنا ضرورتان ماستان :

الضرورة الاولى هي تطبيق الاصلاح الزراعي من قبل الحكومات العربية التقدمية تطبيقا جذريا ، فذلك ضمانة جدية ووحيدة لتحرير الفلاح من أسر العبودية واطلاق كل قواه العقلية والجسدية . ولا بد من الاشارة هنا الى مفارقة هامة ، ففي الوقت الذى ترفع فيه الحكومات العربية شعار الاشتراكية

نجد انها لم تستكمل تطبيق قانون الاصلاح الزراعي الذى يعتبر بالاساس اجراء ديمقراطيا برجوازيا • فما بالنا اذا كان النظام اشتراكيا ؟

أما الضرورة الثانية فهي ضرورة الاهتمام من قبل المنظمات السياسية التقدمية بالعنصر الفلاحي ، اذ أن انتماء الفلاحين للقوى السياسية جزئي وضئيل • وحيث ان اعطاء الفلاح دوره الحقيقي يبتدىء بتحريره اقتصاديا فهنالك ما هو أهم لانه يعني الحفاظ على هذه الحرية ، وذلك عن طريق التربية السياسية والتثقيف المستمر ، وهذا ما تقوم به المنظمات السياسية لانه من صلب واجباتها طبقيا وسياسيا • وبدون ذلك تخسر القوى السياسية الثورية أصالتها وتخسر الحركة الثورية قوة بشرية كبرى هي الفلاحون •

ان البرجوازية لم تستطع أن تحول الفلاحين الى حليف لها ، ولكن الفلاحين وعلى ضوء التقسيمات الطبقية في واقعنا هم الحليف المباشر للطبقة العاملة وعلى عاتقهما وعاتق من يعضدهما من المثقفين والعسكريين الثوريين تقع مسؤولية دفع حركة الثورة العربية الى الامام •

ثالثا ـ العلاقة الديمقراطية بين التنظيمات السياسية التقدمية المختلفة : ان الواقع العربي شاء تطوره أن لا يكون بسيطا بل هو مركب من مجموعات متباينة من النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية • والتفاوت الذى نشهده في أقطار المجتمع العربي يكشف تعدد وسائل النضال وتنوع التنظيمات السياسية • وعلى ضوء تجربة كل قطر عربي نشهد نشوء قوى سياسية مختلفة ، ولكن مع ذلك يظل ينتظم هذه القوى رابط أساسي هو الرابط القومي وشعاراته الاساسية • ولما كان التفاوت بين أقطار المجتمع العربي يتضمن اختلافات طبقية بينة نستطيع أن نشاهد أن الطبقات الرئيسية المسؤولة عن المستقبل العربي هي (العمال ، الفلاحون ، البرجوازية الصغيرة) مع ما يندغم ضمن هذه الطبقات من مثقفين وعسكريين ثوريين • وحيث أن القوى السياسية هي تعبيرات سياسية عن التكوينات الطبقية وتطلعاتها ،فالاختلاف بين القوى التقدمية وارد أصلا ، لانه يعكس تعدد الطبقات المتشاركة في دفع عجلة الثورة العربية • ولذا تنبثق نقطة لاهبة هي : كيفية الحل للتناقضات الثانوية بين الاطراف السياسية المتباينة •

أولا ، وقبل كل شيء ، ان الحركة الثورية العربية لا يستطيع أن يقوم بأعبائها تنظيم منفرد • فحين تمت ادانة تنظيمات تدعي تمثيل الامة بكامل طبقاتها ينبغي محاشاة اختلاء تنظيم سياسي واحد لوحده في الميدان في مرحلة الديمقراطية البرجوازية و (الديمقراطية الموجهة !) لان الشركاء في مسؤولية هذه الحركة لا يمكن شجب دورهم اطلاقا • ولكن في مقتبل الدخول الى مرحلة الاشتراكية تتوافر الادلة على زيادة أحد التنظيمات السياسية القائدة ، وبذلك يكون الحزب أو التنظيم القائد مرهونا بمسيرة الثورة المتصاعدة ومستلزماتها • ولهذا وفي الاشتراكية فقط يبدو وجود حزب واحد مسألة غير متعسفه ، بل طبيعية تماما • أما الان وحيث يعيش المجتمع العربي تداخلا في المراحل فان حقيقة التعايش الديمقراطي بين القوى الثورية هي من مقتضيات الدفاع عن الوجود القومي • ان هذا التعايش أيضا لا يمكن أن يبقى حبيس السلبية بل يجب أن يتأكد حول برنامج جبهوي • وفيما اذا تهيأت جبهة عربية تقدمية صلدة • ان الانشقاقات الداخلية وعدم التوصل الى لقاءات ايجابية وانعدام الحوار الهادف بين التقدميين العرب ، كله قد أدى الى اضعاف المقاومة العربية وجعل المبادرة بين أيد غير وفية • ولذا فان جوهر المسألة القومية لا يتحرك الا ضمن الجو الديمقراطي • وهذا الجو الديمقراطي لا يعني الديمقراطية الليبرالية ـ حرية الشعب وأعداء الشعب ـ بل هو الديمقراطية الثورية التي تعزل جيدا رفاق الطريق عن الاعداء •

وصلت الى دار الأديب العراقي مسودات كتب مختلفة بأقلام بعض الزملاء الكتاب ، وستواصل المساعدة في نشر بعض هذه المسودات بعد الاتفاق مع كتابها ، ولا يغيب عن أذهان الكتاب العراقيين أن الدار ما زالت في بداية تكوينها وهي في الحقيقة تعتمد على مساهمات الزملاء الكتاب في الترويج للكتاب العراقي الذي يتعرض لمنافسة قوية من دور النشر اللبنانية بشكل خاص • والتي تتمكن من نشر وترجمة النتاجات بكلفة أقل تتيح لها طرح الكتب في الاسواق بشكل غزير !

وبصراحة فان دارنا تعتمد على مساهمات الكتاب في نشر كتبهم ونتمنى أن تحصل الدار على دعم الكتاب والقراء في ترويج كتبها الهادفة الملتزمة التي تسعى للنهضة بالفكر والثقافة داخل ربوع الوطن •• وبدون الدعم والاسناد لا يمكن لهذا المشروع « التجريبي » من الاستمرار ، والى اللقاء •••

الفهرســـت

	الصفحة
معاناة الحركة الثورية العربية والطريق الى الحل الثوري	٣
مدخل في تعرية الانتهازية	١٧
الاشتراكية العربية أم الطريق العربي للاشتراكية	٣٦
الطريق العربي للاشتراكية ما هي سماته الواقعية المميزة ؟	٥٥
اليسار العربي بين الزيف والاصالة	٦٦
الثورية ونظرية البؤر الثورية	٧٥
سمات المثقف الثوري	٨٢
ضياع البرجوازية الصغيرة بين الستراتيجية والتكتيك	٩٠
مسألة الشعارات ومقتضيات الظرف الراهن	١٠٣
نقاط أساسية في المسألة القومية	١١١

الثورة العربية
ومهمات العمل الثقافي

منشورات
دار الأديب العراقي - بغداد - شارع حسان بن ثابت
طبع بمطبعة دار السلام
السعر ١٥٠ فلس

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 074452689
(NEC)
DS62
.85
.J3
1969